جامعة الأزهر

حولية كلية اللغة العربية

بنين بجرجا

إبراز محاسن شريعة النبى ﷺ من خلال الحوار

للدكتورة

منى محمد سليم

أستاذ العقيدة المساعد في كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية

العدد الخامس عشر

للعام ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

الجزء السادس

رقـم الإيداع بدار الكتب المصرية

٦٩٤٠ / 2011

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

«إبراز محاسن شريعة النبى ﷺ من خلال الحوار»

الحمد لله خلق الإنسان ومنحه القدرة على التفكير، ووزن الأمور والإبانة عما فى الصدور من خلال ما تدور به الألسنة وما تحمله السطور وأشهد أن لا إله إلا الله، بعث فى بنى الإنسان المرسلين حتى يبينوا لهم كيفية إرضاء رب العالمين، وقد بينوا ذلك على أوضح صورة وأدق تبيين.

وأشهد أن سيدنا محمد عبد الله ورسوله، علم الناس كيف يكون الحوار إلى يوم الدين، اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،، ،،

فإن الحوار فطرة إلهية وسنة ربانية يقوم على ركائز أساسية تحقق المصالح المشتركة للإنسان له ضوابط وآداب وله كذلك قواعد وأركان وله مع هذا وذاك مظاهر ووظائف وأهداف تبلغ بمن التزم العلا مراحل بلوغ الحق والاهتداء إلى الصدق، وكان الرسول ﷺ يعلم أصحابه كيف يكون الحوار من خلال الأساليب والوسائل وهو ما عرف بأساليب ووسائل الحوار فى السنة النبوية المطهرة كيف لا وآيات[1] القرآن الكريم قد جاء فيها الأصل الذى قام عليه الحوار فالذين يقرأون القرآن يدركون دوره ودور الحوارات المتعددة والمتنوعة المبثوثة

---

(١) آيات القرآن الكريم كأنها موسوعة من الحوارات فى مختلف المجالات يجد قارئ القرآن متعة كبيرة فى الحوارات المتعددة التى تفيض بالحكمة والعبرة وتعطى الغذاء الوافى النافع من المعرفة والخبرة.

فى سوره وآياته فى صياغة «الروح الحوارية» عند الإنسان المسلم تلك التى تجسدت فى علاقات الإسلام وأمته وحضارته مع الآخرين[٢].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ[٣] فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[٤].

إن المجادلة فى هذه السورة كانت خولة بنت ثعلبه - رضى الله عنها - ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت «على عادة الظهار فى الجاهلية) فأتت إلى رسول الله ﷺ تجادل فى أمر زوجها وتشتكى إلى الله، وكان الحوار مع رسول الله ﷺ وكانت الشكوى إلى الله، وكان هذا الحوار سببا من أسباب التشريع فى الإسلام؛ حيث أنزل الله تعالى هذه الآية تمهيداً لإنزال الحكم الشرعى للظهار فى

---

(٢) أ.د/ محمد عمارة: حوار الأديان هو حوار الطرشان، جريدة صوت الأزهر، العدد السادس والعشرين ٢٤ مارس ٢٠٠٠م.

(٣) الجدل هو: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة» الراغب الأصفهانى: المفردات فى غريب القرآن مادة جدل ص٨٩ ١٣٨١هـ - ١٩٨١م، مكتبة نزار مصطفى الباز.
والجدل نوعين منه ما هو محمود وهو الذى يهدف من ورائه مناظرة الخصم من أجل إظهار الحق، وإقامة البرهان على صحته، وهى الطريقة التى يشتمل عليها جدل القرآن فى هداية الكافرين وإلزام المعاندين بخلاف مجادلة أهل الأهواء، فإنها منازعة يقول الإمام فخر الدين الرازى: [الجدل المذموم فى القرآن الكريم محمول على الجدل فى تقرير الباطل، وطلب المال والجاه، والجدل الممدوح محمول على الجدل فى تقرير الحق ودعوة الخلق إلى سبيل الله، والذب عن دين الله تعالى. الإمام فخر الدين الرازى، مفاتيح الغيب جـ٥، ص١٨٨، دار الفكر العربى ١٤٠١هـ -١٩٨١م.
ومثله قول النبى ﷺ: «وما مجادلة أحدكم فى الحق يكون له فى الدنيا، بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم فى 'خوانهم الذين أدخولا النار .. .. » حديث النسائى فى كتاب الإيمان (٨-١١٢) رقم ٥٠١٠، ابن ماجه فى المقدمة (٢٣/١) رقم ٦٠، فبين الحديث إن المجادلة قد تكون فى الحق وهى عندئذ غير مذمومة.

(٤) المجادلة ١.

الإسلام فقد كانت المرأة فى الجاهلية بحكم الظهار لا تكون زوجة ولا هى بالمطلقة وتذهب إلى حال سبيلها(٥).

كما أشارت بعض آيات القرآن الكريم إلى نوع آخر من المحاورة فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾(٧).

نعلم من التنزيل العزيز أن أول حوار نشأ بين رب العزة والملائكة حين أخبرهم أنه تعالى سيجعل فى الأرض خليفة، فقال سبحانه وتعالى للملائكة، وهم يحاورونه ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾(٨)، ولم ينته ذلك الحوار، ثم خلق الله ﷻ آدم من طين ونفخ فيه من روحه، فشهد آدم بقية الحوار بل شارك فيه حين سمع حوار المولى تعالى مع ملائكته الكرام، وهو يسألهم سبحانه عن الأسماء فعجزوا و [{قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ](٩)، فوجه الله ﷻ الخطاب إلى آدم

---

(٥) ومن هنا يجب أن يتخذ الحوار وسيلة ليتضح الواقع المأزوم، وعلى أن يكون الحوار تجاوباً وتفاعلاً لتصحيح الواقع، فالحوار يبدأ من الواقع ليرتد إلى مرة أخرى مصححاً كما تجلى فى الموقف السابق، إنه الواقع الذى يتحدى وينتظر الاستجابة، والاستجابة الناجحة هى التى تحكمها المرجعية العادلة وتجعل نور الله مرجعاً مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ} (٤٠) سورة النور.

(٦) البقرة ٣٠.

(٧) البقرة ٣٣.

(٨) البقرة ٣٠.

(٩) البقرة ٣٢.

ﷻ: ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾(١٠)، أنهى الله حواره مع الملائكة بقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾(١١).

هكذا جعل الله ﷻ من ذاته مثلا أعلى للإرشاد والقدوة والتوجيه فى موضوع المحاورة، وهى بهذا المقياس أسلوب من أساليب التعليم المتعددة التى يسوقها القرآن التماساً لكل السبل فى إرشاد ا لبشر وتوجيههم، والرجوع إلى الحق فور ظهوره(١٢).

ولما كان النقل المنزل هو المعبر عن أصول التوجه الشرعى والحوار أصلاً ثابتاً من أصول الحضارة الإسلامية ومبدأ من مبادئ الشرع الحنيف فقد بات من المؤكد ضرورة إبراز محاسن الشريعة الإسلامية عن طريق الحوار؛ لأن ديننا الحنيف لديه الكثير مما يقدمه للبشرية، من أجل التعايش حول هدف واحد مشترك وغاية واحدة خاصة وأن الأزمة الآن التى تمر بها البشرية هى أزمة روحية

---

(١٠) البقرة ٣٣.

(١١) فالقرآن الكريم فى الحقيقة كتاب حوار فى الدرجة الأولى : الأنبياء حاوروا أقوامهم حوارات سجلها القرآن، حوار الله تعالى مع خلقه ومع الملائكة، قال تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ هذا يدل على أن للحوار مجالا رحبا ومكانا واسعاً فى الفكر الإسلامى وفى الشريعة الإسلامية بدءا من القرآن وكذلك فى السنة فالتراث الإسلامى ملىء بالحوارات المختلفة.

(١٢) هذا اتجاه الإسلام منذ البداية وهذا هو ما قدمه للمجتمعات الإنسانية منذ اللحظة الأولى التى نزلت تعاليمه وحيا من الله تعالى على نبيه محمد ﷺ فالحوار أمر قد قرره الشرع وقد تحقق فعلاً وواقعاً فى حياة الرسل عليهم صلوات الله وسلامه على المستوى النظرى الوارد فى القرآن الكريم كما تحقق على مستوى التطبيق العملى فى حياته ﷺ حيث أن كل منهج تعليمى من الله ﷻ هو تكليف وأمر من الله تعالى لعباده.

أخلاقية وأن الإسلام دين يحمل الكثير من القيم التى لها تأثير إيجابى فى معالجة الأزمة الإنسانية.

ومن ثم اخترت أن يكون موضوع هذه الدراسة:

«إبراز محاسن شريعة الإسلام من خلال الحوار».

ومن البديهى القول بأن الحوار قد يكون لفظيا وقد يكون غير لفظيا تستبدل هذه التيارات ليحل محلها "وغير لفظيا" وهو ما يعبر عنه فى المؤلفات الفقهية شاهد الحال باعتبار أنه تعبيرات غير لفظية ولكنها تدخل أحيانا فى نطاق الحوار(١٣).

ومن المنطقى القول بأن الحوار لا يقتصر على اللغة المنطوقة إذ تدخل فيه الرسوم الثابتة والصور المتحركة بجانب العوارض الأخرى من النظرات والإشارات ونبرات الصوت وتعبيرات الوجه إلى غير ذلك من الوجوه التى تدخل كلها فى نطاق الحوار ويشملها من ناحية المفهوم العام.

غير أننى سأقسم هذا البحث إلى:

مقدمة وفصلين وخاتمة وذلك على النحو التالى:

الفصل الأول: التعريف بشريعة النبى ﷺ.

الفصل الثاني: إبراز محاسن الشريعة مع الآخر من خلال الحوار.

الخاتمة: وتتضمن إبراز أهم النتائج.

الفهرس.

---

(١٣) مثال ذلك قول النبى محمد ﷺ عن ضرورة موافقة المرأة على الزواج الخاطب إلا الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأمر وإذنها سكوتها، وفى رواية أخرى «وصمتها إقرارها» ولهذا ليس من الغريب أن يجعل الجوينى الإشارة من وسائل التعبير فى الجدل – الجوينى – الكافية ص٢١، دار الكتب العالمية للنشر والتوزيع ١٩٩٩م.

المقدمة

الحوار[١٤] أمر فطرى لا يمكن لواحد من بنى الإنسان الاستغناء عنه نظراً لارتباط حياة الإنسان كفرد بباقى الأفراد الذين يعيشون معه ويستدل على هذا بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[١٥]. وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ [١٦] .

لم يكن هذا الاختلاف بمانع من الوحدة الإنسانية الجامعة بل إنه من سنن الله تعالى فى خلق الإنسان وجزء من المشيئة الإلهية، وأن اختلاف الناس شعوبا وقبائل لم يكن ليتقاتلوا وإنما يجب أن يكون وسيلة من وسائل التعاون البشرى والتعارف والتلاقى على الخير ومصلحة الإنسان، ولا يكون هذا التعارف قائماً إلا من خلال حوار يتم فيه تقابل الأفراد داخل نطاق الجزء الذى فيه يتم التعامل معه[١٧].

ومن هنا كان الحوار سنة إلهية وفطرة ربانية وكلما كان تقرير المصلحة أو دفاعاً عن الحق فإن ممارسته تكون واجبة على القائم به يدل عليه قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[١٨]. لا سبيل إلى

---

(١٤) هو: نوع من الحديث بين شخصين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، محمد ديماس، فنون الحوار والإقناع ص١١، مركز التفكير الإبداعى، دار ابن الجوزى، ١٩٩٩م.

(١٥) سورة الحجرات الآية رقم ١٣.

(١٦) سورة الروم الآية رقم ٢٢.

(١٧) هناك قاعدة ذهبية وهى أن نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا فيما اختلفنا فيه.

(١٨) سورة النحل الآية رقم ١٢٥.

الدعوة والتمسك بها إلا بهذا السبيل الذى رسمه الله تعالى فلا يمكن أن تكون الدعوة إلى الله بغير الحكمة والموعظة الحسنة فى جميع الأحوال.

وهذا الارتباط هو من قبيل ارتباط المنهج والمضمون بالوسيلة والأسلوب فالحوار هو المضمون والحكمة هى المنهج بينما الوسيلة والأسلوب هما الموعظة الحسنة، وهذه هى مبادئ الحوار وأسسه وشروطه.

ولما كان البحث يتناول إبراز محاسن شريعة النبى محمد ﷺ من خلال الحوار فقد بات من الضرورى التأكيد على أن من أهداف الحوار الدعوة إلى الإسلام ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(١٩) ، مع الرغبة فى الوصول إلى الحق(٢٠)، من خلال التزام الرأى الراجح وبيان الباطل وكشف شبهاته، بل إن الحوار مع إبراز محاسن شريعة النبى ﷺ فقد ثبت المؤمنين في بيان طرق دحض الباطل بجانب الإرشاد السليم والتعليم الصحيح وذلك مما يقرب وجهات النظر ويساعد على تآلف القلوب.

وهذا من شأنه إبراز دور الشريعة الإسلامية فى تحقيق التعايش السلمى بين الأمم والشعوب كما يحقق لهم المصالح المشتركة، كما أن بيان شريعة النبى ﷺ فيه أبلغ الرد وأقومه على الافتراءات والأباطيل التى تثار حول الشريعة الإسلامية وكذلك حول شخصية الرسول ﷺ.

---

(١٩) سورة فصلت الآية رقم ٣٣.

ذكر شيخ الإسلام – رحمه الله –:« أن كثيرا من أهل الكتاب يبلغهم الإسلام ولكن يمنعهم من الإيمان شبهات يحتاجون إلى أجوبة عليها» الجواب الصحيح (٧٦/١)، تحقيق دم على بن حسن بن ناصر – دارى العاصمة

(٢٠) يعد من أهم أهداف الحوار الوصول إلى الحق وترجيح أحد الآراء المطروحة وتضييق هوة الخلاف وتقريب وجهات النظر مصداقا لقوله ﷺ: « فإنه من يعس منكم فسيرى اختلافا كثيرا».

وحيث إن الشريعة الإسلامية ما جاءت إلا من أجل مصالح الشعوب؛ فإن الله تعالى جعل الدين لهداية الناس إلى طريق الخير والرشاد والإسلام هو دين الإنسانية الخالدة الذى جعله الله آخر الأديان وخيرها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهِ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾(٢١)، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(٢٢).

وبالتالى فمن الصواب بيان دور الحوار فى إبراز محاسن شريعة الإسلام؛ حيث يعتبر ضرورة شرعية تطبيقا لتلك القاعدة(٢٣).

ولذلك سوف أتناول المباحث الآتية حتى يكون الأمر قد بدأ فى قواعد صحيحة وبخاصة أننى قد أنتقل بالحوار لإبراز دور شريعة النبى محمد ﷺ فى التقريب بين ديانتين فأكثر وبخاصة بالنسبة للديانات السابقة بحيث لا يشعر فريق أنه قد تم إهماله أو القفز فوق حقوقه (٢٤).

ومن ثم يتبين أن شريعة النبى ﷺ إنما تقوم بالعدل وتقيم الحق وتنصف الكل والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

---

(٢١) سورة آل عمران الآية ١٩.

(٢٢) سورة آل عمران الآية ٨٥.

(٢٣) فقد وصف ﷺ داء هذه الأمة وأرشدها إلى دوائها:
«فإنه من يعيش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ» أخرجه أبو داود ح (٤٠٦٠٧) وابن ماجه ح (٤٢) وأحمد ح(١٦٦٩٤).

(٢٤) إن وظيفة الحوار لا تتوقف بالضرورة على قبول الطرف الآخر للرأى الذى ارتضيه فإن ذلك ليس باستطاعة البشر؛ لأن الهداية وتقبل الحق والانتفاع به هى بيد الله وحده حتى يرفع عن الرسول ﷺ الإحساس بالحرج نجد القرآن يخاطب رسوله ﷺ: «لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ» [٢٢سورة الغاشية] «إِنْ عَلَيْكَ إِلا الْبَلاغُ » [٤٨ سورة الشورى].

الفصل الأول
التعريف بشريعة النبى محمد ﷺ

النظرة الموضوعية العلمية تقتضى التعرف على شريعة النبى محمد ﷺ أولاَ: وبيان محاسنها وما تميزت به من وعى وحكمة وسماحة ولين وصلاحيتها للتطبيق فى كل زمان ومكان؛ حيث إن الشريعة تؤدى دوراً هائلا فى تشكيل وجدان الأمة وتحديد توجهاتها السلوكية.

فالشريعة المحمدية هى الإسلام الذى ارتضاه الله للعالمين فى قوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ﴾(٢٥).

يقول الشيخ شلتوت:

[الإسلام هو دين الله الذى أوصى بتعاليمه فى أصوله وشريعته إلى النبى محمد ﷺ وكلفه بتبليغه للناس كافة ودعوتهم إليه وقد تلقى فيه النبى محمد ﷺ عن ربه القرآن الكريم فبلغه كما تلقاه وبين بأمر الله وإرشاده مجمله وطبق بالعمل نصوصه وتلقاه الناس عنه جيل بعد جيل كما تلقاه هو عن ربه حتى وصل إلينا كما نزل متواتراً لا ريب فيه](٢٦).

والشريعة النبوية بالمعنى العام يدخل فيها كل من العقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق باعتبار أن لفظ الشريعة يشملها جميعاً ويستدل عليها بقوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾(٢٧)، وقوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ

---

(٢٥) سورة المائدة الآية رقم ٣.
(٢٦) الشيخ محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة ص٧، ط دار الشرق ١٩٨٥م.
(٢٧) سورة المائدة الآية ٤٨.

عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاء وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾(٢٨).

«والشريعة ما شرعه الله تعالى على لسان نبيه محمد ﷺ فى الديانة وعلى ألسنة الأنبياء عليهم السلام قبله»(٢٩).

وبناء عليه إن الشريعة التى جاء بها النبى محمد ﷺ شاملة لكافة الأحكام الإلهية كما هى شاملة للأصول والفروع وهذا ما يفهم من تعريف العلامة التهانوى لها بقوله: «الشريعة ما شرع الله لعباده من الأحكام التى جاء بها نبى من الأنبياء عليهم السلام ، سواء كانت متعلقه بكيفية العمل فتسمى فرعية وعملية ودون لها علم الفقه(٣٠). أو أصولية واعتقادية ودون لها علم الكلام».

ولا يخفى أن الشريعة بالمعنى العام يمكن أن تقسم إلى أقسام:

الأول: شريعة تعتقد ويتم التلفظ بها وتسمى شريعة الاعتقاد.

الثانى: شريعة عملية ويتم تطبيقها وتسمى شريعة العمل ثم تقسم شريعة العمل إلى شريعة فى الأبدان وتتنوع فى الأموال وقد نبه إلى ذلك الإمام ابن حزم – رحمه الله – حيث قال: [الشريعة تنقسم إلى قسمين: شريعة تعتقد ويلفظ بها، وشريعة تعمل ويتم تطبيقها ثم يفصل الأخيرة قسمين: قسم فى المال، وقسم على الأبدان.

---

(٢٨) سورة الشورى الآية ١٣.

(٢٩) ابن حزم الأندلسى، الإحكام فى أصول الأحكام م٢ جـ١ ص٤٦، ط دار الحديث بالقاهرة، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

(٣٠) اشتهر بين الدارسين من المتخصصين أن علم الفقه هو علم الفروع وعلم العمل من حيث أنه يبين كيفية الكقيام بالأحكام العملية من الدين الإلهى لأنه يتناول العبادات والمعاملات والجنايات بجانب أحكام المواريث وغيرها، ودون لها علم الفقه العلامة محمد على التهانوى، كشاف اصطلاحات الفنون مادة شريعة المجلد الأول ص١٣٧، ط الأستانة.

فأما شريعة الأموال فهى لازمة لكل صغير وكبير وجاهل لهـا، وعـارف ومجنون وعاقل، لدلائل من النص وردت على العموم فى الزكاة والإجماع علـى وجوب النفقات عليهم[٣١] ثم يقول: «وأما شرائع الأبدان والاعتقـاد فهـى تجـب بوجهين:

أحدهما: البلوغ مبلغ الرجال والنساء وهو البلوغ المخرج عن حد الصـبا إذ لا تجب لغير بالغ شرائع الأبدان.

الثانى: بلوغ الشريعة إلى ذات المرء البالغ][٣٢].

وبرهان ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنـذِرَكُم بِـهِ وَمَـن بَلَغَ﴾[٣٣].

والشريعة الإلهية للنبى الخاتم قائمة ومعبرة عن العقيدة والأحكـام وكـل منهما جزء من شريعة النبى محمد ﷺ ثم يتفرع عنهما ما بعدهما.

وأنوه إلى أن شريعة النبى محمد ﷺ عبرت عن كمال الدين وتمامـه مـن خلال عصمة نصوصها لأنها جاءت كلها من عند الله ﷻ يدل عليه قولـه تعـالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٣٤].

وقول الرسول ﷺ: « ألا إننى قد أوتيت الكتاب ومثله معه»[٣٥].

---

(٣١) هذه الشريعة تقوم على طرفين أحدهما وجبت فى حقه نظراً لتوفر المال بين يديه والثانى وجبت له نظراً لوقوع الحاجة عليه ويستدل على الأمـرين بقولـه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ [٢٤ سورة المعارج].

(٣٢) ابن حزم: الإحكام فى أصول الأحكام م٢ ص١٠٩.

(٣٣) سورة الأنعام الآية ١٩.

(٣٤) سورة النحل الآية ٤٤.

(٣٥) ٢٦٦٤ سنن الترمذى – العلم ط – دار الحـديث بالقـاهرة ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

وهى فى ذات الوقت تحتوى على الضروريات الإنسانية الكمالات المادية والروحانية لنيل سعادة الدارين ويعبر عن هذا المنهج قوله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً»

فالمسلم مسلماً حتى تنعكس عقيدته على سائر أعماله الدينية والدنيوية ولا يمكن أن يكون المؤمن مؤناً حتى تظهر عبادته الخاصة لله على سائر تصرفاته الفردية والاجتماعية، ولذلك فهى تنسجم مع الواقع وتوافقها مع الحياة وبذا لا يوجد تعارض بين أحكام الإسلام ومصالح البشر ولا يمكن أن تفصل بينها وبين السلوك.

ولأنها شريعة إلهية فقد خاطبت العقل الإنسانى فى أعلى مراتبه يدل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٣٦]. وحددت فى ذات الوقت دور هذا العقل فى المعرفة والفهم والتفقه يدل عليه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٣٧]. وتأتى الآيات القرآنية لتضع الموازنة بين من يستجيب للعلم وبين من لم يستجب فيقول جل شأنه فى وصف المقصرين:

﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلا﴾[٣٨].

---

(٣٦) سورة النحل الآية ٦٧.
(٣٧) سورة الرعد الآية ٣، سورة الأعراف الآية ٣٢.
(٣٨) سورة الفرقان الآية ٤٤.

المبحث الأول
الشريعة الإسلامية تراعى النفس الإنسانية

ومن المؤكد أن شريعة النبى ﷺ تأتى موافقة لجميع المكلفين بدليل أن كافة الآيات القرآنية التى وردت بشأن التكليف تحدثت عن أصحاب العزائم وكذلك ذات الرخص وتعطى كل منهما ما يتناسب معه باعتبار الزمان والمكان والظروف الأخرى ومن أبرز مظاهر ذلك الصلاة والصيام والزكاة والحج فهى مرتبة ابتداء من الأخف أداء، ثم الذى يليه حتى تتم الأركان الخمسة وهى فى ذات الوقت تضع أصحاب الأعذار فى الموقع الذى لا يقلل من وجودهم فى المجتمع ولا يؤثر على أدائهم الوظيفى فالشريعة لا تسقط التكليف عنهم إلا فى حالات خاصة وشروط محددة يدل عليه ما روى عن الرسول ﷺ: «رفع القلم عن ثلاثة من أمتى عن النائم حتى يستيقظ وعن المبتلى حتى يبرأ وعن الصبى حتى يكبر»(٣٩).

بل إن الآيات القرآنية بينت ما فى تلك الشريعة من امتياز حيث لم تفرق بين الذكر والأنثى والرجل والمرأة الغنى والفقير من ناحية الأجر والثواب بدليل قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُواْ وَقُتِلُواْ لأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّن عِندِ اللّهِ وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾(٤٠). فالكل أمام الله سواء والتفضل بالثواب أو استحقاق العذاب لا يكون منه جل شأنه على واحد دون الآخر.

وقد امتد ذلك كله حتى فيما يتعلق بالقيم الايجابية ومنها تفريج الكرب يدل عليه ما رواه أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال: « قال رسول الله ﷺ: من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن

---

(٣٩) سنن أبى داود حديث رقم ٤٣٩٨، صحيح الألبانى.
(٤٠) سورة آل عمران الآية ١٩٥.

يسر على معسر، يسر الله عليه فى الدنيا والآخـــرة.... .. وذكـــرهم الله فـــيمن عنده»[٤١].

من البين إن أحكام الشريعة الحاكمة يكون فيهـــا الترغيـــب كمـــا يكـــون الترهيب دون استثناء اللهم إلا أصحاب الأعذار، فإن الرخص تأتى معهـــم لجبـــر ضعفهم حتى يكونوا كغيرهم سواء بسواء ثواباً وعقاباً، وهذا ما يدل على تمـــام شريعة الإسلام ويبرز محاسنها ويبين الكثير من جوانبها ويجعلها واضـــحة فـــى حياة الناس بقدر ما هى واضحة فى عقولهم والنصوص التى تحملها ولـــيس أدل على ذلك من قول الرسول ﷺ: « إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يحب أن تؤتى عزائمه» [٤٢].

بحيث يتساوى فى ذلك كل مسلم ومسلمة الفقير والغنى الصحيح والسقيم دون اعتبار لموطن أو جنس أو لغة أو مكانة اجتماعية؛ لأن الإسلام هـــو الـــذى يجمع وبظله يظلهم، وبالكتاب والسنة يقودهم، ومن ثم كانت الشـــريعة الخاتمـــة صالحة لكل زمان ومكان، فهى لا تقف عند تغطية احتياجات الناس فى الدنيا بـــل هى تمتد معهم إلى الآخرة وتفسح الطريق أمامهم الطاعة نظراً لكونها دين الفطرة السليمة يدل عليه قوله تعالى:﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّـــهِ الَّتِـــي فَطَـــرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[٤٣] .

---

(٤١) رواه مسلم، الحديث السادس والثلاثون من جامع العلوم والحكم.

(٤٢) الترغيب والترهيب – رقم ١٤٧/١، إسناده حسن.

(٤٣) سورة الروم الآية ٣٠، وكذلك ورد الحديث الشريف: « ما من مولود يولـــد إلا ويولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنـــتج البهيمـــة بهيمة عجماء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول: واقرأوا إن شئتم « فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ» الآية صحيح مسلم، كتاب القدر رقم ٤٨١٠.

ولا يخفى أن محاسن شريعة الإسلام قد لفتت إلى طهارة القلوب، وهدى النفوس حتى تقذف للإمام ويقف أصحابها موقف المقدر لدور نفسه، أما أن يقبل عليها أو يتخلى عنها فإن أقبل عليها ونال ثوابها حظى فى الآخرة برضوان الله، وإن كانت الأخرى تلقى عقابه الذى أعده الله تعالى له.

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا﴾(٤٤).

وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا..﴾(٤٥).

---

(٤٤) سورة الكهف الآية ٢٩.

(٤٥) سورة الشورى الآية ٤٨.

المبحث الثاني
التكامل بين العقل والإيمان

لقد كرم الله الإنسان بالعقل، إذ به أصبح خليفة الله تعالى فى أرضه ولا يخفى أن الشريعة الإلهية التى جاء بها خير البرية لم تهمل العقل(٤٦).

ولم تكلفه فوق طاقته وإنما أخذت به حتى يتعرف على خالقه ويأخذ عن ربه ولذا أمسكت بزمام العقل ودفعت به إلى الأمام، وجاء ذلك فى نصوص عديدة منها قوله ﷺ: « تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى ذاته فتهلكوا»(٤٧).

وفى هذا تقدير للعقل واحترام للمكان وحرصا للاستفادة به مع الترقى فى المعارف والتأكيد على ضرورة الأخذ بأحكامه فيما هو داخل فى إمكانه ويعلل ابن خلدون ذلك بقوله:

(العقل ميزان صحيح وأحكامه يقين لا كذب فيها مادام ذلك فى الأمور التى تقع بين إمكانية غير أنك لا تطمع أن تزن بها أمور التوحيد والآخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات الإلهية وكل ما وراء طوره فإن ذلك مطمع فى مجال العقل القيام به)(٤٨).

---

(٤٦) كم من آية فى القرآن الكريم تذكر العقل فى مواطن المدح وتحث على التفكير وتربط الإيمان بالعقول والأفئدة والألباب حتى أن الله سمى القرآن الكريم ذكراً قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [١٧ سورة القمر]، وقال الشاعر:

وأفضل قسم الله للمرء عقله فليس من الأشياء شىء يقاربه
إذا أكمل الرحمن للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه

أبى الحسن الحافظ الماوردى، شرح أدب الدنيا والدين ص٩ طبعة مطبعة الأستانة تركيا ١٣٢٨هـ.

(٤٧) رواه أبو نعيم فى الحيلة عن ابن عباس (تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله).

(٤٨) ابن خلدون المقدمة ص١٢١، ط القاهرة ١٩٣٧م.

وقد احترم الدين الإسلامى العقل الإنسانى احتراما واضحاً، وأشاد به أيما إشادة، وجعله أساساً تبنى عليه الفضائل، ولولا العقل ما حصل تكليف بتدبير شئون الدنيا وما كان هناك لإدراك لشرائع الله تعالى ووحدانيته والوقوف على حكمه وأحكامه وتعاليمه التى أنزلها على رسله الكرام.

واعتبر الإمام القرطبى[٤٩] العقل هو التفضيل الذى يجب أن يعتبر دون ما عداه وهو يفسر قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾[٥٠]. ثم ذكر بعد ذلك.

[إلا أنه لما لم ينهض بكل المراء من العبد بعثت الرسل وأنزلت الكتب فمثال الشرع الشمس ومثال العقل العين فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس وأدركت تفاصيل الأشياء وإذا كان العقل ورعاً فإنه يعقل صاحبه عن الشر ويقلب النظر ويوازى بين الأشياء وهو كذلك يميز بين الهداية والضلال ويأخذ من الماضى وللحاضر يعى، ويتدبر أقوال وإذا كان كذلك فإنه موصول بكل حجة من حجج التكاليف لكل أمر بالمعروف ونهى عن محظور، أفلا يعقلون، أفلا يتفكرون، أفلا يبصرون، أفلا يتدبرون، أفلا يتذكرون، والعقل بهذه المعانى وهذه المهام ميزة تميز الإنسان بها].

ومما يؤكد امتياز الشريعة الإسلامية وتعدد محاسنها أنها آخت بين العقل والنقل وجعلتهما يسيران فى اتجاه واحد وأبرزت جوانب التلاقى التى لا يمكن إهمالها وتقرر ذلك فى عدد من آيات القرآن الكريم.

يقول الإمام محمد عبده:

---

(٤٩) القرطبى: أبى عبد الله – تفسير القرطبى – دار إحياء التراث العربى – بيروت – لبنان ١٩٦٥م بتصرف.

(٥٠) سورة الإسراء الآية رقم ٧٠.

«جاء القرآن الكريم فنهج فى (الدين) منهجا لم يكن عليه ما سبقه من الكتب المقدسة منهجا يمكن لأهل الزمن الذى أنزل فيه ولمن ياتى بعدهم أن يقوموا عليه»(٥١).

من المعروف أن الديانات السماوية تتفق فى جوهر العقيدة ولكنها تختلف فى مدى اعتراف كل منها بالديانات الأخرى، والتطبيق الصحيح لحرية العقيدة ومبدأ المساواة بين الناس دون تمييز بسبب الدين ويظهر أثر ذلك فى عدم جواز إكراه الناس على اعتناق دين معين وأدائهم لشعائرهم الدينية واحترام أحكام دينهم قال تعالى: ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾(٥٢).

الإسلام يعلى من شأن الدين الصحيح ويجعل من العقل خادما مطيعاً له، ولهذا اهتم الإسلام بالجانب العقلى بما يتفق مع الفطرة التى فطر الله الناس عليها.

ولقد أسس الإسلام هذا المنهج على المتكامل للتعامل بين الشعوب والحضارات ، وربط بين المسلمين وغيرهم من أصحاب الأديان الأخرى برباط من الإخوة الإنسانية النابعة من وحدة الأصل البشرى. ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(٥٣). وألزم المسلمين بالتعايش والتعارف مع غيرهم. واعترف بواقع الديانات السابقة وجعل الإيمان برسل الله وأنبيائه وكتبه عنصراً هاماً فى عقيدة المسلم. كما أرسى مبدأ حرية الاعتقاد كأساس للإخاء والتعايش الإنسانى. أقر بأن السلام ونبذ العدوان هو الأصل فى العلاقة بين الشعوب.

---

(٥١) الشيخ محمد عبده/ رسالة التوحيد ص١٨، ط الأولى ١٤١٤هـ -١٩٩٤م، دار الشروق.
(٥٢) سورة البقرة الآية رقم ٢٥٦.
(٥٣) سورة الحجرات الآية ١٣.

فالإسلام إذن هو دين العقل ودين البحث والنظر والفكر يعتبر أن العقل والوحى أساسيان لبناء الجانب الإيمانى ولا تعارض بينهما؛ لأن كلاً منهما منحة من الله، ومنح الله لا تتعارض.

يقول ابن القيم – رحمه الله – :

« إن الطريقة السلفية عرفت للعقل منزلته ودوره الحقيقى؛ حيث جعلته مناط التكليف، وأحد الضروريات الخمس التى يجب حفظها ورعايتها، ووضعت ضوابط محددة تتفق مع قدراته وإمكاناته فلم تطلق له العنان بل جعلت له حدوداً ومجالات لا يجوز له تجاوزها وتعديها، ومن ذلك أنه لا مجال للعقل فى الأمور الغيبية، وهذا من فضل الله ورحمته بالإنسان، حيث لم يكفله ما لا يستطيع، وجعلت العصمة للوحى المتمثل فى الكتاب والسنة فلا تعارض، وفى هذا تعظيم للوحى وجعله الحكم، وصيانة للعقل البشرى من التمزق والانحراف، وللمجتمع من الفرقة والخلاف، ذلك أن دعوى المعارضة بين العقل والنقل هى أصل كل فساد فى العالم»(٥٤).

وقال الشاطبى – رحمه الله – :

«العقل لا يجعل حاكماً بالإطلاق، وقد ثبت عليه حاكم بإطلاق وهو الشرع، بل الواجب أن يقدم ما حقه التقديم، وهو الشرع، ويؤخر ما حقه التأخير وهو نظر العقل؛ لأنه لا يصح تقديم الناقص حاكماً على الكامل»(٥٥).

---

(٥٤) مختصر الصواعق المرسلة ابن القيم محمد بن عبد الكريم بن ضوان، على الجهمية والمعطلة، المشهور بابن الموصلى، جـ١، ص٢٩٣، الناشر: أضواء السلف ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م.

(٥٥) الشاطبى – إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمى – الناشر مكتبة التوحيد جـ٢/٣٢٦.

هكذا تبين لنا أنه رغم هذه العناية بالعقل والإعلاء من مكانته فى الشريعة الإسلامية إلا أن ذلك لا يبيح لنا أن نجعل منه مصدراً يستغنى به عن النص فالله ﷻ هو خالقنا وهو أعلم بالإنسان وطاقاته، ويعلم أن العقل الذى وهبنا إياه ناقص ومحدود لا يستطيع الهدى لنفسه ولا تستطيع الحياة أن تستقيم به وحده، ولذلك أرسل إليه الرسل، وجعل حجته على عباده هى رسالة الرسل إليهم وتبليغهم عن ربهم هذا هو دور العقل الإنسانى يتلقى عن الرسالة ويفهم ما يتلقاه من الرسل.

فلم يقصر الاستدلال على نبوة النبى بما عهد الاستدلال به على النبوات السابقة فى حال النبي مع نزول الكتاب عليه فى شأن من البلاغة بعجز البلغاء عن الإتيان بأقصر صورة فيه وقص علينا ما أوجب علينا أن نعلم ولكن لم يوجب التسليم به لمجرد أنه جاء بكتابه(٥٦).

أجل إن القرآن الكريم أقام كل دعوة وبرهن عليها وحكى مذاهب المخالفين وأقر عليها بالحجة وخاطب العقل واستنهض الفكر كما عرض نظام الأكوان وما فيها من الأحكام والإتقان على أنظار العقول وطالبها بالإمعان فيها لتصل بذلك إلى اليقين بصحة ما ادعاه ودعا إليه(٥٧).

ولأن كانت هذه الجوانب تعبر فى مجملها عن الشريعة الخاتمة وتكشف ملامحها فإن الحوار هو الذى يبرز هذه الجوانب من الناحية النظرية والتطبيقية على قدر سواء .

---

(٥٦) تحدث القرآن الكريم عن الماضين كما تحدث عن الحاضرين وهو ما يعرف بالحال وفى ذات الوقت تحدث عن الاثنين حيث يعلم السر وأخفى ولذلك كل أخباره صحيح الواقع يصدقها بل هى دالة عليه أيضاً وذلك من خصائص القرآن الكريم، الإتقان فى علوم القرآن جـ١/١٧٨،- دار الكتاب العربى ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، والعلامة الزرقانى، مناهج العرفان فى علوم الفرقان جـ١/١٤٣، دار الكتب العربى - بيروت ط أولى ١٤١٥هـ -١٩٩٥م.

(٥٧) محمد عبده، رسالة التوحيد بتصرف ص١٨.

المبحث الثالث
التعريف بالمصطلحات

المطالع لمادة الكلمة (ح، و، ر) فى لغة العرب يراها تجئ عادة دالة على المراجعة[٥٨] بين طرفين فأكثر فى موضوع بذاته وربما كانت المحاورة أو الحوار مع الفرد ذاته ويعرف بالحوار الداخلى[٥٩] والحديث مع النفس.

وفى ذات الوقت قد يكون موضوع الحوار أو المحاورة علمياً أو جاد منظماً وقد يكون غير ذلك، المهم أن تجئ فيه عملية المراجعة لمادة بذاتها، وبناء عليه قد يدخل فى مفهوم الحوار الجدل والمناظرة كما تدخل المحاجة والمناقشة وربما دخل كل من المفاوضة أو المراءاة وهى كلها يمكن أن يشملها لفظ الحوار باعتبارات مختلفة ويمكن التأكيد على أن المحاورة تعبر عن نزعة فطرية يجئ فيها دور الحوار للوصول إلى الحق أو المغالبة وكل من المحاورة والحوار يؤدى معنى بذاته ويحقق غايات انعقدت المسائل بشأنها.

قول ابن خلدون يتفق مع ما جاء فى الشريعة الإسلامية كالأمر بطيب القول، وحسن الخلق، والقول الحسن ونحوها من الإشارات فى أسلوب وطريقة

---

(٥٨) وقد ورد الحوار فى القرآن الكريم باعتباره مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين والأخذ والرد فيه حيث فسر الطبرى قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ.. ..﴾ [٣٤ سورة الكهف]، وقال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾[٣٧ سورة الكهف] « وهو يحاوره» فى الآيتين بقوله وهو يخاطبه ويكلمه، الطبرى (٢٤٦/١٥ -٢٤٧)، تفسير الطبرى، لأبى جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آى القرآن، حققه محمود شاكر – دار المعارف بمصر.

(٥٩) يطلق على هذا النوع من الحوار فى الدراسات الأدبية المنولوج النفسى، باعتبار أنه يخص الفرد ذاته فكأنه يتحدث مع نفسه أو يحدثه غيره وما من إنسان وقد أوتى تلك الملكة وتمتع بذات الخاصية.

وأدب الحوار والقواعد السلوكية التى ينبغى مراعاتها قبل وأثناء وبعد الحوار وقد صاغ الإمام الغزالى آداب المحاورة فى كتابه الإحياء:

«أن يكون فى طلب الحق كناشد ضالة ولا نفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد معلن يعاونه ويرى رفيقه معينا لا خصما، ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق(٦٠).

وروى عن الإمام الشافعى أنه قال: «ما ناظرت أحداً إلا وددت أن الله أظهر الحق على لسانه»(٦١).

وقد دخل هذا المفهوم فى العديد من الدراسات النظرية يستوى فى ذلك علم العقيدة وغيره، يدل على ذلك أن ابن خلدون عرف الجدل بأنه: «معرفة آداب المناظرة»(٦٢).

وقد أخذ هذا الموضوع حيزاً كبيراً من نصوص الكتاب والسنة، ونماذج الحوارات الواردة فيهما، وتعددت طرق طرحه فتارة يكون بالدعوى إلى توحيد الله وتارة بالنهى عن الشرك كدعوة أهل الكتاب إلى التوحيد(٦٣). ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي

---

(٦٠) إحياء علوم الدين – طبعة دار الشعب – القاهرة، جـ١(١، ٥٧).

(٦١) الذهبى – الحافظ شمس الدين، طبعة دار الفقر – بيروت، سير أعلام النبلاء (٢٩/١٠).

(٦٢) ابن خلدون، المقدمة ص٤٢٢، طبعة دار الشعب، وإن ذلك من هدى هذا الدين ومن خُلُق الرسول الكريم ﷺ كما أن التزام الأدب له دور كبير فى إقناع الطرف الآخر وقبوله للحق وإذعانه للصواب عمن يلقى خلقاً فاضلا فإنه لا يملك إلا أن يحترم.

(٦٣) العقيدة فى اللغة: من العقد وهو الربط والإبرام وهو كل ما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به سواء أكان حقا أو باطلاً فهو عقيدة والعقيدة اصطلاحاً: هى الإيمان الجازم الذى لا يتطرق إليه شك لذى معتقده فكأن العقيدة هى العهد المشدود والعروة الوثقى وذلك لاستقرارها فى القلوب ورسوخها فى الأعماق. قال تعالى:﴿ لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ

حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(٦٤)، ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(٦٥)،﴿ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾(٦٦)، ﴿ ﴿وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾(٦٧)، ﴿ ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(٦٨)، إضافة إلى دعوة الرسل لأقوامهم.

هذا هو حال الشريعة الإسلامية وتلك محاسنها التى ينبغى إتباعها عند الحوار؛ حيث يجب أن نجعل هذه الآداب مصاحبة لنا فى حياتنا كلها وسمة بارزة

رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [٨٩ سورة المائدة]، انظر: لسان العرب لابن منظور والقاموس المحيط، الحاوى من فتاوى الشيخ الألبانى إعداد محمد إبراهيم ص٩، المكتبة العلمية للتراث ط الأولى ١٤٢١هـ.

(٦٤) البقرة ٢٥٨.

(٦٥) آل عمران ٦٤.

(٦٦) المائدة ٧٢.

(٦٧) المائدة ١١٦.

(٦٨) المائدة ١١٧.

فى حواراتنا ومناظراتنا لتفتح قلوب محاورينا ولنصل إلى مقصودنا فى هداية الناس وإرشادهم هكذا كان الصحابة وأتباعهم – رضى الله عنهم وأرضاهم.

يقول الإمام الطبرى فى قوله تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٦٩)، « فبرحمة الله يا محمد ورأفته بك، وبمن آمن بك من أصحابك لنت لهم» لأتباعك وأصحابك فسهلت لهم خلائقك، وحسنت لهم أخلاقكحتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه، وعفوت عن ذى الجرم منهم جرمه، وأغضضت عن كثير ممن لو جفوت به وأغلظت عليه، لتركك ففارقك، ولم يتبعك، ولا ما بعثت به من الرحمة، ولكن الله رحمهم ورحمك معهم، فبرحمة من الله لنت لهم»(٧٠).

ويقول ابن القيم:

اجعل لقلبك مقلتين كلاهما ∴ بالحق فى ذا الخلق ناظرتان

فانظر بعين الحكم وارحمهم بها ∴ إذ لا ترد مشيئة الديان

وانظر بعين الأمر وحملهم على ∴ أحكامه فهما إذاً نظران»(٧١)

كما يهمنى فى هذا المقام إبراز دور الحوار بالنسبة لمحاسن شريعة الإسلام على ناحية تطبيعية.

حيث جاءت آيات القرآن الكريم مؤكدة أن المخالفة فى الدين لا تبيح العداوة والبغضاء ولا تمنع المسالمة والتعاون بالنسبة لأمور الحياة كما لا تبيح القتال لمجرد تلك المخالفة يدل عليه ما قصته آيات القرآن الكريم من حوار رائع

---

(٦٩) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

(٧٠) انظر: الطبرى (١٥١/٤).

(٧١) ابن قيم الجوزية، القصيدة النونية – الكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية.

وبناء لإحقاق الحق واستخدام العقل الواعى والحكم بمقتضى منطق الحكمة فى كل القضايا المتعلقة بالدين والدنيا وما يرجع إليهما وهذا الحوار هو أساس الدعوة إلى إحقاق الحق وإزالة كل خلاف ينشأ بين الإنسان وغيره ويقدم دائماً كما مر استعمال العقل والفكر المتوازن ومقابلة الحجة بالحجة ويترك باب الحوار مفتوحاً، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ.. .. ﴾(٧٢).

فالواضح من خلال تلك الآيات أن الحوار هنا يعطى كل مخالف حقه فى التفكير وفى التعبير وفى العبادة وهى الحقوق الأساسية(٧٣).

وما من شك في أن القرآن حين أبرز حق الكافرين فى الحريات الثلاث يعني أن الأمر لا يعدو بعيداً عن الحوار بل الواضح أن الحوار قد تم وكأن الله ﷻ يقول: يا محمد حينما تلتقى بالكافرين ويطلبون منك أن تعبد آلهتهم كلها أو بعضها فقل لهم: أنتم أحرار فيما تعبدون وأنا حر فيما أعبد، ولا أتحمل وزركم ولا تتحملون وزرى إن الدين الذى أدين به سوف ألقى الله تعالى وأنا عليه وراضى

---

(٧٢) سورة الكافرون الآيات ١، ٢، ٣، ٤.

(٧٣) الحقوق الثلاث الأساسية هى: التفكير لقوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [٣ سورة الرعد]، وحرية العقيدة هى أول وأسمى ما يدعو إليه الإسلام، لقوله تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا} [٢٩ سورة الكهف] فهى مقصد من مقاصد الدين الإلهى بصفة عامة والإسلام بصفة خاصة قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [١٥٧ سورة الأعراف]، قال تعالى: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ} [٢٦ سورة المطففين]، وحرية التعبير لقوله ﷺ «قل آمنت بالله ثم استقم».

به، أما الذى تعبدونه وتدينون به فهو شأنكم ومن المؤكد أن تبعيته تكون عليكم، فتبرأ ﷺ من عبادة الأصنام وغيرها مطلقاً كما أكد ﷺ فى الحال هذه بأنهم لا يعبدون الله وإن زعموا ذلك لأن عبادتهم التى يزعمون أنها لله مشوبة بالشرك(٧٤).

ويقرر هذه المسألة العلامة فخر الدين الرازى؛ حيث يقول: «إن الكفار لما قالوا للنبى محمد ﷺ نعبد إلهكم سنة وتعبد ألهتنا سنة، سكت محمد ﷺ، وقال لنفسه إن شافهتهم بالرد تأذوا وحصلت النفرة فى القرآن فى قلوبهم فكأنه تعال قال لمحمد ﷺ لما سكت عن الرد فكان الجواب لا أعبد ما تعبدون»(٧٥).

ومحل الشاهد أن شريعة الإسلام لم تقاتل المخالف ولم تفرض على النبى ﷺ القيام بهذه المقاتلة وإنما علمت كيف يكون الطريق إلى عرض الآراء والوصول إلى النتائج، وهذا فى حد ذاته كاف في طبيعة الحوار وإبراز أن الشريعة لا تجبر أحداً على اعتناق ما لم يقبله حتى وإن كان ما فى عقله بعيداً تمام البعد؛ لأن مرد الأمر فى جميع الحالات إلى الخصوصية القائمة فى المسئولية الشخصية(٧٦).

وقد أكد القرآن الكريم على هذا المبدأ فى العديد من الآيات، قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ...﴾(٧٧).

---

(٧٤) عن أبى هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه»، رواه مسلم.

(٧٥) فخر الدين الرازى، مفاتيح الغيب جـ١٦/٧٠٨ ط دار الغد العربى طبعة أولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٨م.

(٧٦) هناك آيات كثيرة تتحدث عن هذه المسئولية الشخصية منها قوله تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} [٣٨ سورة المدثر]، {كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} [٢١ سورة الطور].

(٧٧) سورة الكهف الآية ٢٩.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾ (٧٨).

ولا تقف الشريعة عند هذا الحد بل تمنع كائنا من كان أن يحاسب الكافر على كفره بل جعل ذلك من حقه تعالى وحده من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾(٧٩).

كما تؤكد لنا هذه السورة أيضاً أنه لابد في مجال الحوار من الوضوح والصدق فى طرح الآراء خاصة فى باب الاعتقاد وعدم اللبس على الناس فلا مجال فى ذلك للتنازلات أو أنصاف الحلول فهذا دين الله فلا يسعى أحد أن يزايد عليه أو يداهن فيه أو بليسَ الحق بالباطل.

ويقرر ابن عباس نتيجة الحوار لفهمه لكم دين ولى دين لكم كفركم بالله ولى التوحيد الخالص له جلا وعلا(٨٠).

صحيح ن الحوار قد عرفت نتيجته مسبقا لكنها الحقيقة الأساسية التى تقوم عليها الشريعة الإلهية وأعنى بها التأكيد على الحريات الأساسية(٨١) للفرد الواعى ثم يكون دوره أمام الله ﷻ فيتحمل مسئولية ما اقترفت يداه أو يحصل على ثواب ما اجتباه.

وقد وردت آيات القرآن الكريم تتحدث عن هذا الجانب؛ بحيث تعطى القارئ انطباعات متقاربة وبخاصة عندما يكون الحوار قد ارتفعت وتيرته وبات النزاع بين الطرفين قريبا، حينئذ تنطفئ جدوى هذا الاندفاع ويتحول الطرفان إلى

---

(٧٨) سورة يونس الآية ١٠٨.

(٧٩) سورة الرعد الآية ٤٠.

(٨٠) فخر الدين الرازى، مفاتيح الغيب جـ١٦/٧٢١.

(٨١) إذا نفى الإسلام الإكراه في مجال العقيدة، وهى أسمى ما يدعو إليه الإسلام فمن البديهى والمنطقى أن ينفى الإكراه فى مختلف مجالات الحياة الأخرى، وإن يكفل كافة الحريات.

الأقرب للقبول والأيسر للوصول للنتائج[٨٢]، يدل عليه قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[٨٣].

فالحوار قام هنا على قاعدة ثابتة وهى الاتفاق فى الأصول؛ لأن الإنسان العاقل يدرك أن رزقه ليس من كده وإنما من عند ربه وإذا وصل إلى تلك الغاية فإنه يكون قد انتهى من الحوار إلى النتيجة المرجوة.

فمعنى الآية الكريمة: إن الرازق هو الله وهم لا ينكرونه بدليل قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ﴾[٨٤].

وهذا اللون من الكلام يسمى بالكلام المنصف وهو أن لا يترك المجادل لخصمه موجب تغيظ واحتدام فى الجدال، ويسمى فى علم المناظرة إرخاء العنان للمناظر ومع ذلك فقرينة إلزام الحجة قرينة واضحة[٨٥].

صحيح أن أحد الطرفين سيكون على نقيض الآخر؛ لأنه لا ثالث بين الهدى والضلال ولما كانت لغة الحوار قد قامت على بيان محاسن الشريعة الإسلامية فإن هذا يعطى للآخر انطباعاً ذا أبعاد متنوعة تنتهى إلى الإقرار بأحقية

---

(٨٢) راجع: د/ محمود حسب الله صبرى، دراسات فى العقيدة الإسلامية ١٨٤، ط دار منار ١٩٨٣م.

(٨٣) سورة سبأ الآية ٢٤.

(٨٤) سورة يونس الآية ٣١.

(٨٥) إسماعيل حقى البروسوى، تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، م٣ جـ٢٢ ص٢٦٩، ط دار الصابونى - بالقاهرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، تفسير التحرير والتنوير - محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير سورة سبأ.

الرسول ﷺ فى كونه رحمة للعالمين المدلول عليها بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(٨٦) .

والتأكيد على أن سيدنا محمد ﷺ صاحب الشريعة الخاتمة وبناء عليه تبدو محاسن تلك الشريعة من خلال تلك اللغة الحوارية وتكون الغاية هى قيام اللغة الحوارية ذاتها بدور المبين لدور الشريعة الإسلامية نفسها.

ولذا قيل إن كل ما جاء من عند الله وبلغه رسول الله كاشف عن أن صاحب تلك الشريعة رسولا من عند الله، وأنه ختم جميع رسالات مولاه قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾(٨٧).

يقول الشيخ عبد الهادى بن على بن محمد النمكى: «إن حوار المسلمين فيما بينهم محكوم بجملة من المبادئ العامة، أما حوار المسلمين مع غيرهم فإنه محكوم بالتطبيق العملى وبناء عليه فالإسلام ينكر على الملحدين أنهم لم يؤمنوا بالإله الخالق رغم أن مساحة حريتهم فى التعرف على الله كبيرة وأن القدرات التى وهبهم الله بها تتيح لهم الوصول إلى الحق لكنهم يتغافلون عنها»(٨٨).

---

(٨٦) سورة الأنبياء الآية ١٠٧.

(٨٧) سورة الأحزاب الآية رقم ٤٠.

(٨٨) راجع: الشيخ النمكى، العقيدة الإسلامية ص٦٥، ٦٦، عناية فروح الكردى ١٩٤٣م.

الفصل الثاني
إبراز محاسن الشريعة مع الآخر من خلال الحوار

أضف إلى ما سبق أن حوار الإسلام مع الآخر لبيان امتياز الشريعة الإسلامية ربما جاء بطريق مباشر يدل عليه قوله تعالى: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾.

ففى هاتين الآيتين وضع الشارع جل علاه دستور العلاقات بين المسلمين بشكل دقيق حيث إن المعنى أن الله تعالى لا ينهاكم أيها المسلمون عن مودة وصلة غيركم ممن يختلفون معكم فى العقيدة والدين ما داموا لم يسيئوا إليكم بل عليكم أن تقيموا علاقة معهم على العدل والبر وفى ذلك إبراز لمحاسن الشريعة من خلال الحوار فى حق الآخر فى التعامل معه طالما التزم القواعد العامة للتعايش حتى ولو كان مخالف فى الدين؛ لأن الدين ملك لله والاعتقاد حقه تعالى ولا يلزم أحداً أن يقوم بدوره بالنيابة عنه.

يقول صاحب الكشاف[٨٩]: « لا ينهاكم الله عن مبره هؤلاء، وإنما ينهاكم عن تولي هؤلاء وهذا أيضاً رحمة لهم لتشددهم وجدهم فى العداوة وقد رخص الله تعالى التعامل معهم بالقسط وعدم الظلم والبر درجة أعلى من القسط، بدليل أن الله جل علاه أضاف القسط إليه فقال: ﴿ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾[٩٠].

ويلاحظ أن الله عبر بلفظ البر وهو يستخدم أعظم صور التعامل وأرقاها، فهو يستخدم فى وصف صورة التعامل بين الأبناء وآباءهم وأمهاتهم، كما يقول

---

(٨٩) الزمخشرى الكشاف عن حقائق غواض التنزيل ص٢٤٧٠ – الناشر، دار الكتاب العربى – بيروت – ط٣ ١٤٠٨هـ.

(٩٠) سورة الممتحنة الآية رقم ٨.

رسول الله ﷺ عندما سئل عن أى العمل أحب إلى الله تعالى فقال: « الصلاة على وقتها» قال السائل: ثم أى؟، قال: «ثم بر الوالدين»[٩١].

فهناك فرق بين البرد والتولى للكفار غير المقاتلين، إذ البر يقتضى الاحسان إليهم ، والعدل معهم، وأما التولى فيقضى الحب والنصرة والله أمرنا ببرهم والاحسان إليهم كما أنه سبحانهنهاناً عن موالاتهم قال تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ} (سورة الممتحنة ١٣).

كما وصف الله من يتولاهم بأنه من الظالمين فقال: { وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (سورة التوبة ٢٣).

ومثل ذلك كثير فى الشريعة الإسلامية وهو يشير إلى عظم قيمة البر وهى الدرجة التى يريد الله منا أن نتعامل بها مع غير المسلمين فى حالة عدم حربهم لنا.

ومن المؤكد أن هذا التعامل الهادف مع غير المسلم بهذا الشكل من البر والمودة والإقرار بالحقوق الأساسية مع المحافظة عليها فيه إبراز لمحاسن الشريعة ولا يكون ذلك إلا عن طريق الحوار من الناحية التطبيقية إذ لا يعقل أن يكون هناك بر وقسط ومودة على ناحية نظرية وإنما لابد من التطبيق العملى قديما قيل:

لا يغرنك من أسير خطبه ∴ حتى يكون مع الكلام أصيلاً

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما ∴ جعل الكلام على الفؤاد دليلاً[٩٢]

---

(٩١) البخارى، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة على وقتها (٥٠٤)، ومسلم كتاب الإيمان، باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (٨٥).

(٩٢) شيخ الإسلام ابن تيمية، كتاب الإيمان ص٦٠، طبعة دار التراث بالقاهرة. الصواعق المرسلة جـ١ صـ٣٤٥ ط. دار العاصمة ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م ينسب هذا الشعر منسوب إلى الأخطل وقد ورد عند ابن تيمية برواية [إن البيان].

وقد أضحت لنا السيرة النبوية كيف فهم الرسول ﷺ هذا التنبيه الإلهى «لا ينهاكم الله.. .. » فكان ﷺ يحضر ولائم أهل الكتاب ومجالسهم، ويواسيهم فى مصائبهم ويعاملهم بكل أنواع المعاملات التى يتبادلها المجتمعون فى جماعة يحكمها قانون واحد، وتشغل مكاناً مشتركاً، فقد كان ﷺ يقترض منهم نقوداً ويرهنهم متاعاً، وأنه ﷺ اشترى طعاماً من يهودى إلى أجل (٩٣) ورهنه درعاً من حديد، ولم يكن ذلك عجزاً من أصحابه عن إقراضه فإن بعضهم كان ثرياً، وكلهم يتلهف على أن يقرض رسول الله ﷺ وإنما كان يفعل ذلك تعليما للأمة، وتثبيتا عمليا لما يدعو إليه من سلام ووئام، وتدليلاً على أن الإسلام لا يقطع علاقات المسلمين مع مواطنيهم من غير دينهم»(٩٤).

وإذا أردنا بيان مواقف الرسول ﷺ مع غير المسلمين فمن الصعب أن تحصى صفحات هذا البحث مدى معاملته التى ظهر فيها ﷺ بره وعدله مع غير المسلمين.

فلم يعهد عنه ﷺ ظلم قط وهذا جزء يسير يبين مدى عدله ﷺ وبره فى تعامله مع المحيطين به من غير المسلمين فى كافة المعاملات.

فقد روى أنس ﷺ موقفا من مواقف الرسول فقال: « كان غلامٌ يهودى يخدم النبى ﷺ فمرض، فآتاه النبى ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: «أسلم» فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: « أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبى ﷺ يقول: « الحمد لله الذى أنقذه من النار»(٩٥)

---

(٩٣) البخارى عن السيدة عائشة رضى الله عنها كتاب الرهن، باب من رهن درعه (٢٣٧٤)، ومسلم: كتاب المساقاة، باب الرهن وجوازه فى الحضر والسفر (١٦٠٣).

(٩٤) د/ أحمد محمد الحوفى، سماحة الإسلام ص٨٧ -٨٨، القاهرة ١٩٨٥م.

(٩٥) البخارى كتاب، الجبائر، باب إذا أسلم الصبى فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبى الإسلام (١٢٩٠)، والترمذى (٢٢٤٧) والنسائى فى سننه الكبرى (٧٥٠٠).

هكذا يستعمل رسول الله غلاماً يهوديا فى الخدمة ليجعل الحياة مع أصحاب الديانات الأخرى حياة طبيعية ثم يمرض الغلام فيذهب الرسول ﷺ ليعوده فى بيته، وهو الرسول ﷺ قائد الدولة والغلام اليهودى خادمٌ، ثم يدعوه ﷺ للإسلام فيسلم الغلام فيخرج النبى ﷺ فرحاً بإسلامه، إن هذا هو البر فى أسمى صوره.

وتحكى السير على حسن تعامله ﷺ وأخلاقه وجمال بيانه، ورقة طباعة ﷺ مع غير المسلمين وهو ما ذكرته بعض الروايات من مثل هذا الموقف الرائع مع الرسول ﷺ مع امرأة ضعيفة ليس معها رجال، وهى أم معبد الخزاعية(٩٦)، وكانت مشركة آنذاك إذ دخل عليها رسول الله ﷺ ومعه أصحابه خيمتها وكانت بمفردها فسألوها لحماً وتمراً ليشتروا منها، فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة فى كسر الخيمة، فدار بينه وبين أم معبد هذا الحوار الراقى:

ما هذه الشاة يا أم معبد؟

قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم.

قال ﷺ: «هل بها لبن؟»

قالت: هى أجهد من ذلك.

قال رسول الله ﷺ: « أتأذنين لى أن أحلبنها»؟

هذا الاستئذان الراقى من الرسول ﷺ دفع أم معبد أن ترد عليه قائلة: بأبى أنت وأمى، إن رأيت لها حلب فاحلبها، هذا الرد من أم معبد كان قبل إسلامها(٩٧).

---

(٩٦) هى: عاتكة بنت خالد بن منقذ الخزاعية، ويقال: عاتكة بنت خالد بن حليف، وهى التى نزل عليها رسول الله ﷺ فى خيمتها حين خرج من مكة إلى المدينة مهاجراً وذلك الموضع يدعى إلى اليوم خيمة أم معبد، انظر: ابن الأثير أسد الغابة ١٨٦/٦، وابن حجر، الإصابة، الترجمة رقم (١٢٢٥٣).

(٩٧) الحاكم (٤٢٤٣) وقال: هذا حديث حسن الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى فى التلخيص، وقال صحيح، وعزاه ابن حجر فى الإصابة ١٦٩/٦، للبغوى وللحديث شواهد من حديث جابر رواه البزار كما فى كشف الأستار (١٧٤٢).

المبحث الأول
فن التعامل النبوى مع غير المسلمين

وهناك أيضاً من القصص والروايات التى تبين لنا مدى سماحة الإسلام وبيان أن شريعة الإسلام لا تحابى أحد وإن زعيم الأمة وهو رسول الله ﷺ وقائد المسلمين لا يكره أحد حتى ولو كان مخالفا له فى العقيدة على شىء وإن مهمته ﷺ هى تطبيق قواعد الإسلام مع الرفق واللين فى المعاملة وهو ما يروى عن جابر بن عبدالله ﷺ وهو أحد الأصدقاء المقربين إلى رسول الله ﷺ قد وقع فى أزمة مع أحد اليهود، حيث قد استدان منه وجاء أجل سداد الدين ولم يكن جابر يستطيع الوفاء وطلب من اليهودى تأجيل سداد الدين ولم يطلب المماطلة أو التغاضى عنه، وطلب من الرسول ﷺ أن يتوسط بينه وبين اليهودى، وقام رسول الله ﷺ بالفعل، بل أخذ معه بعضا من أصحابه، والرسول ﷺ بنفسه يستشفع لجابر، ولكن اليهودى يرفض، يقول جابر: فجعل رسول الله ﷺ يكلم اليهودى أى: أنه أكثر فى الكلام والاستشفاع عنده واليهودى مصرٌّ على قوله: أبا القاسم، لا أنظره، ماذا فعل الرسول ﷺ إزاء ذلك، هل أجبر اليهودى أو أكرهه على قبول شفاعته؟ والقبول بالتأجيل؟ وهو القائد لهذه الدولة بل ﷺ راعى جانب العدل والإنصاف لليهودى غير المسلم وليكن السداد حتى ولو كان الأمر يتعلق بصحابى خليل أو صحابى جليل.

يروى جابر بن عبد الله ﷺ فيقول: « كان بالمدينة يهودى، وكان يسلفنى فى تمرى إلى الجداد[٩٨]، وكانت لجابر الأرض التى بطريق رومة فجلست فخلا

---

(٩٨) الجداد: زمن قطع النخل، ابن حجر العسقلانى فتح البارى ٩٧/١، ٥٦٧/٩.

عاماً، فجاءنى اليهودى عند الجداد، ولم أجد منها شيئا، فجعلت أستنظره إلى قابل فيأبى» فأخبر بذلك النبىﷺفقال لأصحابه: «امشوا نستنظر لجابر من اليهودى».

فجاءونى فى نخلى، فجعل النبى يكلم اليهودى فيقول: أبا القاسم، لا أنظره، فلما رأى البنى ﷺ قام فطاف فى النخل، ثم جاءه فكلمه فأبى، فعمت فجئت بقليل رطب فوضعته بين يدى النبى ﷺ فأكل ثم قال: «أين عريشك[٩٩] يا جابر؟ فأخبرته، فقال: « افرش فيه» ففرشته فدخل فرقد ثم استيقظ، فجئته بقبضة أخرى، فأكل منها ثم قام فكلم اليهودى فأبى عليه، فقام فى الرطاب فى النخل الثانية ثم قال: « يا جابر، جد واقضى»، فوقف فى الجداد فجددت منها ما قضيته، وفضل منه، فخرجت حتى جئت النبى ﷺ فبشرته، فقال: « أشهد أنى رسول الله»[١٠٠].

ما أحوجنا إلى الحوار لبيان سماحته وعدله الذى يجب أن نتحلى به فى أعمالنا ومواقفنا كمسلمين والتعرف على معايير الأخلاق والقيم التى تتحلى بها سيرته ﷺ.

وبناء عليه فإن هذه المعاملة بما اشتملت عليه من المسالمة والتواد والبر والعدل فيها إعلان واضح عن طبيعة هذه المعاملة التى تفرضها الشريعة الإلهية لغير المسلم وتعتبرها حقا له فى عنق المسلم يكون مسئولاً عنها أمام الله تعالى، وأن الإسلام هو دين شامل سواء فى أحكامه أو فيمن يخاطبه، وإنه دين الإنسانية يتعامل مع البشر كما خلقهم الله متعددون مختلفون فى طبيعتهم وفكرهم وانتماءاتهم فى كافة المجالات.

---

(٩٩) عريشك: أى المكان الذى اتخذته فى البستان لتستظل به وتقيل فيه، ابن حجر العسقلانى، فتح البارى ٥٦٨/٩.

(١٠٠) البخارى: كتاب الأطعمة، باب الرطب والتمر (٥١٢٨).

المبحث الثاني
محاسن الشريعة فى إقرار المعاهدات

تقرر آيات الذكر الحكيم أن الشريعة الإلهية التى جاء بها النبى ﷺ خير البرية تقوم فى الجانب الحوارى على إمكانية عقد المعاهدات مع المخالفين فى الدين، ما دامت تلك المعاهدات لا تمثل خروجا على أصول الدين ولا تمس أصلاً منها ولا تضر بمصلحة الدعوة أو الأمة وما دام الظرفان على قدم المساواة فى ذلك التعاقد أو المعاهدة يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّواْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾(١٠١).

فالدين الإسلامى عقيدة وعمل، ونصوصه هى بالوضوح الكافى لإقرار المبادئ والتمسك بالعلاقات الإنسانية بين البشر جميعاً، وهذا يدل على مرونة الشريعة الإسلامية التى تسمح بإقرار شرعية القوانين والنظم وإلزام المسلم بتنفيذ أحكامها.

والمعنى أن الحوار يدور بين طرفين أحدهما مسلم والآخر غير ذلك ونظراً لتبادل شئون الحياة فمن الممكن أن تكون هناك معاهدة وفى ذات الوقت يمكن الوفاء بها. وقد أوجبت الشريعة على المسلم القيام بالوفاء بالعهد الذى تم بغض النظر عن الطرف الذى تم توقيع العقد معه المهم أن يشعر الآخر بضرورة النتائج المترتبة وهو ما يعد التقرير للحقيقة الأساسية القائمة فى طبيعة الشريعة الإلهية وكان ذلك من العوامل التى ساعدت على تفهم أحكام الشريعة صحيح أن صدر السورة قد أعلن براءة الله ورسوله إلا الذين عهدتم منهم لكنهم نقضوا ولو يوفوا

---

(١٠١) سورة التوبة الآية رقم ٤.

أما الذين وفوا ولم ينقضوا فلهم حكم آخر وبناء عليه فهمت كلمة البراءة هنا بمعنى انقطاع العصمة وانقضاء العلاقة.

ثم جاء الاستثناء إلا الذين عهدتم ولم يقع عليكم جور، وكان ذلك باتفاق الطرفين فإن الوفاء بالعهد يكون القاعدة الأساسية ولحكم الثابت. وذلك مما يكشف عن طبيعة الشريعة الإلهية.

فقد أمر الإسلام المسلمين بالوفاء بالعهد للذين عاهدوهم من أهل الكتاب أو المشركين عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾[١٠٢].

قال قتادة: «إن الله ذكر الوفاء بالعهد بضعة وعشرين موضعاً من القرآن عناية واهتماماً بشأنه والوفاء بالعهد من أجل مراتب السعادة فقد قال ﷺ: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له» ويعتبر الوفاء بالعهد فرضٌ من فرائض الإسلام ما دام العهد معقوداً، لكن إذا انتقض العهد ولو شيئا من المعاهدة أو عاونوا الأعداء بأى وسيلة مهما قلت كان ذلك مبيحاً لنبذ العهد ونقضه.

يقول الإمام فخر الدين الرازى:

«إن إتمام العهد يكون مع الذين ما غدروا بحيث يتميز هؤلاء عن أولئك الناقدين للعهد وبالتالى جاء الحوار هنا محمولاً على السلم والمسالمة واستتباب الأمن وتحقيق السلام واحترام الخصوصيات»[١٠٣].

ولذا يقرر ا لفخر الرازى أن الذين ما غدروا من هذين الوجهين، فأتموا إليهم عهدهم، ولا تجعلوا الوافين كالغادرين وأدوا إليهم عهدهم تاما كاملاً.

---

(١٠٢) سورة الإسراء الآية رقم ٣٤.

(١٠٣) كان صدر السورة قد جاء مبين انقطاع المعاهدات مع المشركين الذين انقصوا المسلمين عددا، وعدة وظاهروا عليهم خصومهم حتى ينالوا منهم وبناء عليه يكون مجرى الحوار هنا المراد به التفريق بين من يدار الحوار معه ومن يقطع الطريق معه وهذا ما يمثل الأسس العامة للقواعد الدولية والإنسانية.

إن الله يحب المتقين الذين يفصلون بين أصحاب الوفاء وبين أصحاب نقض العهد(١٠٤).

فإذا لاحظنا أن كلمة ينقصوكم تجئ على معنى ينقضوا عهدكم فهم المعنى على أنه وقت الحرب لا السلم وبهذا المعنى تميز الشريعة بين وقتين وحالين مما يؤكد أنها لا تحكم بالعموم ولا تأخذ بالظواهر وإنما تضع المنهج العلمى وتعتبر بالجانب التطبيقى فالإسلام دين تجئ فيه الشريعة، والعقيدة، والأخلاق، والعبادات وحدة مترابطة لا تقبل التجزئة قال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(١٠٥).

ولذلك عرف الإيمان بأنه «ما وقر فى القلب وصدقه العمل» .

فالإيمان نظام للسلوك الإنسانى فى الخير من استقامة وصدق وتطبيق لمفاهيم الإسلام ومقاصده وإتباع أوامر الله ونواهيه.

وحيث تقرر فى الشريعة حرية الاعتقاد فقد أباحت تلك الشريعة لغير المسلمين يطبقوا تعاليمهم التى يتمسكون بها وأباحت لهم اتخاذ الاجراءات التى تصونهم وتمنحهم فرصة متزايدة تحت اسم الاستجارة فهم أحرار فى معتقداتهم وأحرار فى معاملاتهم وكذلك فى الحقوق التى يتبادلونها بينهم وفوق هذا فإن الاستجارة أو الإجارة حق مقرر لغير المسلم فى عنق المسلم وجاء محكوماً بنص فى قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾(١٠٦).

---

(١٠٤) فخر الدين الرازى مفاتيح الغيب، م٧ جـ١٤ ص٥٧٢، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(١٠٥) سورة البقرة الآية رقم ٨٥.

(١٠٦) سورة التوبة الآية ٦.

هذا هو الإسلام وهذا حال شريعته فإذا كان قد نفى الإكـــراه فـــى مجـــال العقيدة وهى أول وأسمى ما يدعو إليه فمن البديهى والمنطقى أن ينفى الإكراه فى مختلف مجالات الحياة.

من الواضح أن الحوار فى الشريعة شمل جميع مناحى الحياة طالما كـــان هذا الإنسان مشاركاً غيره فى أنماطها المختلفة وهى حقيقة إلهية ثابتة تعلى من قدر المتمسك بالشريعة القائم على تطبيقها وهل هناك أكثر من أن تضع الشريعة المخالف دون أن يكون للمسلم يد عليه بل إنها سمحت فى بعض الأحيان للرجـــل المسلم أن يتزوج من الكتابيات عند الضرورة من باب التيسير عليه والمحافظـــة الكاملة لحقوقه ورعاية الجوانب الإنسانية.

يدل عليه قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَـــابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[١٠٧].

فإذا ما لاحظنا أن سورة المائدة مدنية وأن ما يتعلق بها من أحكام يعبـــر عن مرحلة بناء الدولة فإن مما لا شك فيه أن هذه الأحكام هى ما استقر أمرهـــا وتعطى فى ذات الوقت المناعة للفرد والجماعة وتكشف عـــن مبـــادئ أساســـية للحوار وأعنى به ارتباط مادة الحوار وموضوعه بالمصـــالح العليـــا للإنســـانية فإنسانية الإنسان وأدميته أمر مقرر فى الشريعة الإسلامية والإنسان مكرم من قبل الله تعالى بصرف النظر عن ثقافته أو هويته قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِـــي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[١٠٨]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾[١٠٩]. فالشريعة الإسلامية

---

(١٠٧) سورة المائدة الآية رقم ٥.
(١٠٨) سورة التين الآية رقم ٤.
(١٠٩) سورة الإسراء الآية رقم ٧٠.

جعلت المحافظة على حياة الإنسان تعظيما للذات الإنسانية وكرامتها وذات يوم مرت جنازة برسول الله ﷺ فقام لها تكريما وإجلالاً فقيل له: إنها جنازة يهودى فقال ﷺ: «أليست نفساً» فالنفس فى الشريعة مقدرة لذاتها معظمة لآدميتها بصرف النظر عن انتمائها الدينى أو الجنسى أو اللون.

ومن المؤكد أيضاً أن الحوارات التى دارت داخل إطار الشريعة الإلهية فى المأكل والمشرب وغيرهما مما يحتاجه الناس فى حياتهم العادية لهو من الشواهد القوية على تمام الشريعة ووفاءها بالاحتياجات الضرورية بجانب قدرتها على التقريب بين الديانات وإذابة الفوارق بين الطبقات وتحويل المجتمع الإنسانى من التفريق والاختلاف إلى البنيان المتكامل المرصوص وتعين على مزيد من التعاملات اليومية بين الأفراد وفى النهاية يحدوا كل بنى الإنسان غطاء لهم يعيشون تحت ظلاله من خلال لغة هادفة ودعوة مستقيمة ونتائج مأمولة وذلك مما يحقق السعادة لبنى البشر فى الدنيا ويكشف لهم أوجه السعادة فى الآخرة.

ومن البين القول بوجود العديد من النصوص الدينية التى تعبر عن هذه الحوارات وبخاصة ما جاءت به السنة المطهرة حيث إنها ذكرت العديد من ذلك وضربت المثل فى صور التفاوض التى يمكن أن تقع بين المسلم وغيره ويكون الحوار هو الطريق إليها من ذلك مثلا هذا الحوار الذى رواه أنس بن مالك ﷺ في شأن عبد الله بن سلام يقول أنس ﷺ: «بلغ عبد الله بن سلام مقدم الرسول ﷺ المدينة فأتاه وقال إنى أسألك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبى: قال: ما أول أشراط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة، ومن أى شىء ينزع الولد إلى أبيه ومن أى شىء ينزع الولد إلى أخواله؟ فقال رسول الله ﷺ: خبرنى بهن آنفا جبريل. أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الشبه فى الولد فإن الرجل إذا غشى المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبقت كان الشبه لها، قال أشهد أنك

رسول الله ثم قال يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، إن علموا بإسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى عندك فجاءت اليهود ودخل عبد الله بن سلام البيت فقال رسول الله ﷺ أى رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ فقالوا اعلمنا وابن أعلمنا وخيرنا وابن خيرنا فقال رسول الله ﷺ أفرأيتم إن أسلم عبد الله، قالوا: أعاذه الله من ذلك) قال: فخرج عبد الله إليهم فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، ووقعوا فيه»(١١٠).

الشاهد فى هذا أن عبد الله بن سلام هو من أهل الكتاب اختلفت صورة حواره نظراً لتمكنه المعرفى ومحاولاته إبراز هذا الجانب والعمل على اختبار النبى ﷺ من الناحية المعرفية والأخلاقية فهو لا يكتفى بالكلام المجرد وإنما يطلب الدليل ويقوم بالاختبار للرسول ﷺ مباشرة وبناء عليه جاءت هذه المحاورة بنتيجة إيجابية لصالح ابن سلام نفسه حيث أسلم وحسن إسلامه وصار واحداً من صحابة الرسول ﷺ ترتب على ذلك أن ابن سلام نفسه أخذ يساعد الرسول فى فهم حقيقة اليهود داخل المدينة ولا يخفى أن السنة المطهرة نقلت أيضاً صور من الحوار الذى قد يحدث فيه نوعاً من التجاوز ولكنها فى النهاية تحقق النتائج الايجابية يدل عليه ما أخرجه مسلم فى صحيحه عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: «كنت قائما عند رسول الله فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لما تدفعنى فقلت ألا قلت يا رسول الله! فقال اليهودى: إنما ندعوه باسمه الذى سماه به أهله فقال رسول الله ﷺ: «إن اسمى

(١١٠) صحيح البخارى، حديث الأنبياء ٣١٥٩.

محمد الذى سمانى به أهلى» فقال اليهودى: جئت أسألك فقال له رسول الله ﷺ « أينفعك شىء إن حدثتك ؟ فقال الرجل اسمع بأذنى[١١١]:

فنكت رسول الله ﷺ بعود معه[١١٢] فقال اليهودى أين تكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات فقال ﷺ هم فى الظلمة دون الجسر»[١١٣] فقال الرجل:فمن أول الناس إجازة[١١٤]. قال رسول الله: أول الناس إجازة هم فقراء المهاجرين، قال اليهودى: فما تحفتهم[١١٥] حين يدخلون الجنة، قال زيادة كبد النون[١١٦] قال فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها» قال فما شرابهم عليه؟ قال: من عين فيها تسمى سلسبيلا، قال: صدقت»[١١٧].

والواضح أن هذا الحديث قد أبان عن نوع من المحاورة الهادفة التمس فيها الرجل غير المسلم اختبار رسول الله ﷺ صحيح أنه اعترف بكونه نبى بما يعبر عن نجاح المحاورة والوصول إلى غاية سليمة كما ظهر لنا من خلال هذه المحاورة مدى تواضع النبى محمد ﷺ فتنازل النبى مع اليهودى وموافقته قوله،

---

(١١١) كأن الرجل اتفق مع الرسول على موضوع المحاورة وبالتالى بات كل منهما ينتظر المحاورة من ناحية المضمون والهدف لا من ناحية الشكل والمظهر.

(١١٢) نكت: أى جعل يخط بخط بالعود فى الأرض ويؤثر به فيها وهذا يفعله المفكر. النووى ٣/٢٢٦١.

(١١٣) أى: الصراط، المرجع السابق.

(١١٤) يقصد الرجل أول من يجوز على الصراط هل هم الأغنياء أم الفقراء الصالحون أم الفاسدون إلى غير ذلك من الاعتبارات.

(١١٥) التحفة ما يهدى إليه الرجل وتخص به ويلاطف، النووى ٣/٢٢٧.

(١١٦) النون: الحوت الصحاح ٧/٢٢١٠.

(١١٧) مسلم: كتاب الحيض ١/٢٥٢، رقم ٣٤.

ورضاه بأن يناديه باسمه المجرد مع أنه رسول الله ﷺ رغم أنف اليهود وعدم إصراره ﷺ على أن يعترف له اليهودى برسالته المنزلة شاهد على تواضعه ﷺ.

لنجاح المحاورة والوصول إلى غاية سليمة تبين لنا أسس هامة للحوار وتظهر ملامح امتياز الشريعة الإلهية ولا يخفى أن كل الحوارات التى دارت فى نصوص الشريعة كان الطرف الآخر فيها يفتعل الحدة أو يسعى إليها، وعلى الطرف المقابل أن ياتى الرفق النبوى مبين قيمة الخلق العظيم الذى قال عنه القرآن الكريم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١١٨).

ومن المؤكد أيضاً أن الحوار فى الشريعة الإلهية يبرز نوعاً من المعالجة مع المخالفين فى العقيدة ومع الموافقين ويبرز مواقف السلم من مواقف الحرب ويكشف عن أن المحرمات فى المطعم والمشرب وغيره قد يقع فيها نوع من التحاور والعبرة بطريقة العرض والاتفاق على الموضوع والبحث عن نتائج إيجابية لا يختلف أمر عن أمر ولا حال عن حال بل إن المعيار فى الجميع هو المصلحة التى تحقق للفرد الأمان وللجماعة الاستقرار وتثبت فى الناس قواعد العمل الاجتماعى وتعلى بينهم ضوابط احترام الآخر ومتى أخذ الناس بهذا تحقق فيهم قول الرسول ﷺ: « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنة نبيه» ﷺ (١١٩).

ولا يخفى أن الحوار كشف عن امتيازات عديدة فى محاسن الشريعة الإسلامية ومنها التسامح والعفو وإمكانية تحمل ذوى الأعذار دينا كان أو دما أو غيرهما بحيث يذهب المرء إلى ربه خالصا ويعيش بين الناس آمنا ويبعث يوم القيامة راضياً، ولا يتوفر ذلك إلا إذا تم الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

---

(١١٨) سورة القلم الآية رقم ٤.
(١١٩) الإمام مالك الموطأ رقم ٢٦/٨.

فالحوارات السابقة بينت لنا بصورة عملية تطبيقية كيف كانت حواراته ﷺ حيث ظهر فيها حسن الأدب فى الحوار وقيمة الالتزام بأصوله وضوابطه العلمية، والسلوكية، مما الآن لهم الخصوم.

المبحث الثالث
احترام الخصوصيات

خلق الله تعالى كل فرد يملك خزينة خصوصيات معينة تشمل بأسراره وآلامه وأحلامه ولغير ذلك مما لا يجب أن يعرفه أحد عنه، وهذا ما جاءت إليه الإشارات فى الحديث الشريف من قوله ﷺ: «البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب والإثم ما حاك فى النفس وتردد فى الصدر»(١٢٠).

ومن هنا كانت الخصوصيات بمثابة مغاليق مفاتيحها بأيدى أصحابها وعرف هذا فى لسان الشرع بالسرائر يدل عليه قوله تعالى: ﴿ {يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾(١٢١).

تبلى: أى تختبر والسرائر ما أسر فى القلوب من العقائد والنيات، وما أخفى من الأعمال (١٢٢).

أى يوم القيامة يكشف فيه عن كل شىء ويصبح المكنون منشورا ويظهر السر علانية وتخبر سرائر الناس، ومحل الشاهد أن السرائر هى التى يحتفظ بها الإنسان الواعى داخل خزينة أسراره ولا يتمكن أحد من دفعه إلى الإعلان عنها إذا جاء أمر القيامة ذهب قيد التحفظ والكتمان وسارت الحقائق كلها تدلى بذاتها دون أن يكون هناك قيد عليها(١٢٣).

---

(١٢٠) أخرجه مسلم كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم(٢٥٥٣٩)، (١٤).

(١٢١) سورة الطارق الآية رقم ٩.

(١٢٢) فخر الدين الرازى مفاتيح الغيب تفسير سورة الطارق صـ١٢٠ دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٤م ١٤٢٥هـ.

(١٢٣) يعرف هذا بالضمير الموجود لدى الإنسان ولا يستطيع أحد أن يفتحها إلا بإذن صاحبها ومن هنا كان الضمير بمثابة المنطقة التى يتمكن منها صاحبها ولا نستطيع أن ندخل عليه أو يدخل إليه إلا بإذن خالص منه.

وقد أبرزت حوارات النبى ﷺ هذه الخصوصية ودور النبى ﷺ فى المحافظة عليها ، ويروى عن أنس بن مالك أنه قال: « جاء رجل من أهل البادية قال: يا محمد جاءنا رسولك فزعم لنا بأن الله أرسلك(١٢٤)، قال رسول الله ﷺ للرجل: صدق قال فمن خلق السماء؟ قال الرسول: الله، قال الرجل: فمن خلق الأرض؟ قال الرسول: الله، قال الرجل: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل (١٢٥)، قال الرسول ﷺ : الله، قال الرجل: فالذى خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال إله أرساها قال الرسول: نعم(١٢٦).

قال الرجل وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان فى سنتنا فقال الرسول: صدق، قال الأعرابى: فبالذى أرسلك الله أمرك؟ قال: نعم، فقال الرجل وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا فقال الرسول ﷺ: صدق، ثم ولى الرجل وقال: والذى بعثك بالحق لا أزيد عليهن ولا أنقص منهن فقال ﷺ : لئن صدق ليدخلن الجنة(١٢٧).

صحيح أن هذا الحوار قد جرى على الصورة التى سلف عرضها وهو يكشف عدة جوانب أهمها حلم الرسول ﷺ مع هذا السائل لأنه أكثر من أسئلته وفى

---

(١٢٤) استخدم كلمة زعم فى عبارة واحدة وتكرارها مرتين يؤكد أن صاحب السؤال رجل البادية لم يكن يعلن عما فى ضميره وإنما جاء ليسأل دون حاجة إلى ما وراء السؤال وقد يكون متشككا فى كل ما يقول المهم أنه عبر غنه بانفرادته.

(١٢٥) البين أن هذا الرجل كانت لديه تأملات فى الكون بدليل سؤاله عن طبيعة الجبال وما يجرى فيها بجانب ما هو قائم بداخلها ومن الواضع أيضاً أن هذا الرجل كان لديه إلمام أو شىء من ثقافة علمية.

(١٢٦) ذلك الحوار يعبر عن نزعة قائمة فى عقل هذا الرجل ويريد التأكيد عليها أو الاستيثاق منها وربما كان لديه علم بالنبوة الخاتمة لكنه أخفى ما بداخله حتى يكون الأمر عادئيا ويجرى الحوار على ذات الصورة.

(١٢٧) الإمام مسلم: صحيح مسلم كتاب الإيمان ١٣٠.

كل مرة كان يبدأ حواره بالسؤال ثم يستحلف الرسول ﷺ أن يكون صادقا فيما قال، وهذا فى حد ذاته قد يكون مدعاة إلى موقف يتسم بالخصومة مع السائل أو يظهر فى الرد شىء من العنف لكن هذا وذاك لم يحدث أما لماذا، لأن الرسول ﷺ قال فيه ربه تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١٢٨).

وصاحب الخلق العظيم ليتحمل أكثر مما يحتمل غيره ولذا جاءت النتيجة لصالح الرجل لو أحسن استغلالها وداوم عليها.

الأمر الثانى: أن رسول الله ﷺ وهو يحاور الرجل كان يعطيه المساحة للسؤال ويعطيه مساحة أكبر فى عرض وجهة نظره بينما كانت إجابة الرسول بكلمة قليلة فى حروفها وهى صدق، وأيضاً نعم، والظاهر من استخدام صدق ونعم التأكيد على أمرين أحدهما صدق الرسول الذى بلغ أهل البادية هذا عن الرسول ﷺ والثانى التأكيد على أن هذا أمر الله ولا راد لأمره (١٢٩).

ثالثا: كما أبرز الحوار أن الرسول ﷺ لم يسأل الرجل عن هويته أو ديانته أو عن سبب مجيئه ومن الذى بعثه وبهذا يعطى الرجل الفرص المتنوعة لإخراج ما عنده ولو أن الرسول ﷺ [على سبيل الفرض] لاحقه أو صده أو سأله عن ديانته وهويته ربما انقطع الحوار ولم يصل الأمر إلى غاية.

رابعاً: أن نتيجة الحوار الهادف دلت على أن احترام الخصوصيات يعطى الفرص للاقتناع والإقرار بجدوى الحوار يدل عليه قول الرجل والذى «بعثك بالحق» وفيها إعلان عن دخوله الإسلام وأن الرسول ﷺ مبعوث من قبل الله وأنه صادق فيما يبلغ كما دل على أن الرجل قرر الالتزام بكل ما سمع الاعتراف سيد الأدلة(١٣٠).

---

(١٢٨) سورة القلم الآية رقم ٤.

(١٢٩) النتائج لهذا الحوار متعددة والجانبان المذكوران على سبيل المثال لا الحصر.

(١٣٠) هذا المبدأ يجرى فى كل القضايا المتعلقة بالجرائم وفى غيرها متى تعلق الأمر بصاحبها بشرط أن يكون هذا الاعتراف اختيارياً لا جبريا. ولذا لما أقام

خامساً: كذلك بين لنا هذا الحوار حسن إنصات رسول الله ﷺ إضافة إلى ما فيه من احترام وتقدير للآخرين وتهيئة النفس للإنصات والبعد عما يشغل أو يقلل الانتباه. كما يعطى الفرصة الكافية للسائل لإبداء آرائه، ويمنحه فرصة السؤال والتثبت وكل ذلك وغيره مُتمثل فى أدب رسول الهدى ﷺ ثم إعطاء مطلق الحرية فى السؤال والاستفسار حيث قال له:

«سل ما بدا لك، ثم أنصت إليه فعلاً وأجابه على أسئلته حتى انتهى، ثم انطلق مؤمنا ورسولاً مبلغاً من وراءه من قومه وتحققت البشرى المستقبلية التى وعد الرسول هذا الرجل بتحقيقها إن هو صدق فيما حكى ولا يمكن أن تكون هذه الجوانب كلها قد جاءت للحوار إلا وتحقق أعلى درجات الأمان وتكشف فى ذات الوقت عن ضرورة الدفاع عن النبى ﷺ وبهذا يجد من يدافع عن الرسول المادة العلمية الموثقة التى تصل به إلى تلك الغاية كما ينقل عن كتب السنة صورة من صور الحوار مع الآخر التى تظهر فى المحافظة على الخصوصية بل التمادى فى احترامها بما يؤكد أن الرسول كان أحرص على خصوصيات الناس وأقدر على الترقى بها يدل عليها ما رواه مالك عن ابن شهاب « أن بلغه إن نساءكن فى عهد رسول الله ﷺ يسلمن بأرضهن وهن غير مهاجرات وأزواجهن حين أسلمن كفار منهن بنت الوليد بن المغيرة، إذ أسلمت ولم تتمكن من الهجرة(١٣١).

الرسول ﷺ حد الزنا على الغامدية يكن ذلك إلا بإقرارها على نفسها ورغبتها فى أن يخلصها الله سبحانه وتعالى من تلك الكبيرة التى ارتكبتها.

(١٣١) كان إسلامها يوم الفتح ولكنها لم تتمكن من إعلان رغبتها فى الهجرة من قبل.

وكانت تحت صفوان بن أمية فأسلمت يوم الفتح وهرب زوجها صفوان بن أمية فبعث إليه رسول الله ﷺ ابن عمه وهب بن عمير برداء رسول الله ﷺ أماناً لصفوان بن أمية (١٣٢).

ودعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام وأن يقدم عليه فإن رضى أمر قبله وإلا سيره شهرين.

فلما قدم صفوان على رسول الله ﷺ بردائه ناداه على رؤوس الناس فقال يا محمد إن هذا وهب بن عمير، جاءنى بردائك وزعم أنك دعوتنى إلى القدوم عليك، فإن رضيت أمر قبلته وإلا سيرتنى شهرين فقال رسول الله ﷺ انزل أبا وهب، كأنه ﷺ يريد أن يتحاور معه بحيث يبلغ به الحوار الغاية المطلوبة وربما كان الرسول ﷺ قد أعلمه الله بما فى نية هذا الرجل حتى أنه تبسط معه إلى أكثر مما يتوقع فقال: «لا والله لا أنزل حتى تبين لى فقال رسول الله ﷺ بل لك تسير أربعة أشهر فخرج رسول الله ﷺ قبل هوزان بحنين فأرسل إلى صفوان بن أمية يستعيره أداة وسلاحاً عنده ، فقال صفوان: أطوعا أم كرها، فقال: بل طوعاً، فأعاره الأداة والسلاح الذى عنده ثم خرج صفوان مع رسول ا لله ﷺ وهو كافر فشهد حنينا والطائف وهو كافر وامرأته مسلمة ولم يفرق رسول الله ﷺ بينه وبين امرأته حتى أسلم صفوان واستقرت عنده امرأته بذلك النكاح (١٣٣).

---

(١٣٢) جرت سنة الرسول العملية فى أمان بعض الأشخاص أن يبعث للواحد منهم إما بعمامة من عمائمه أو برداء أو ما شابه ذلك حتى يعرف أنه مؤمن جهة رسول الله مهما كان قد ارتكب من جرائم تستوجب قتله أو القصاص منه وهى سنة مباركة جرى العمل بها فترة.

(١٣٣) الإمام مالك – الموطأ – ١٩ باب نكاح العبيد ٢/٥٤٣/ ٤٤ قيل حديث ضعيف وقال ابن عبدالبر : لا أعلمه يتصل من وجه صحيح وهو حديث مشهور معلوم وابن شهاب إمام وأهلها وشهره هذا الحديث أقوى من إسناده» وأخرجه البيهقي ١٨٦/ ١٨٧.

والواضح أن رسول الله ﷺ راعى خصوصية صفوان وما يرتبط به والمعروف أن باب الرخص قد يتسع لمثل هذه الحالات. كما أن هذا الحوار الهادئ قد راعى فيه جانب العاطفة كما روعيت فيه طبيعة العشرة روعى أيضاً ما يتعلق بالوضع الاجتماعى بدليل أن رسول الله ﷺ حينما أتاه صفوان ناداه الرسول مرحبا بكنيته والعرب كان من عاداتهم إذا استخدمت الكنية من باب الترحيب دلت على تمام الأمان.

كما اتضح من خلال الحوار أن الرسول ﷺ راعى نفسية صفوان فمد له فى الأمان أربعة أشهر وهى مدة كافية لمراجعة النفس والوقوف مع الماضى على وجه دقيق وفى ذات الوقت يمهد للمستقبل وهذا من شأنه أن يعلى من قدر الطرف الآخر ويرضى النزعة الإنسانية فيه وليس أدل على ذلك من طلب النبى ﷺ سلاح الرجل فى مثل هذا الموقف نظراً لمعرفة النبى بحاجة المسلمين إلى ذات السلاح فى ذات الظرف وهى مسألة ضرورية إذن الحوار تبنى موقفين أحدهما يتعلق بدفع حاجة المسلمين الضرورية للسلاح وذلك عن طريق التغطية له وإرضاء كبرياء الطرف الآخر ثم استغلال الوضع على النحو الأمثل وجاءت النتيجة أن أسلم صفوان ولو أن الأمور صارت على غير ذلك لتغيرت النتائج وبرزت صورة سلبية يصعب التكهن بنتائجها.

أخلص من هذا إلى أن احترام الخصوصيات فى أمر صفوان ترتب عليه إسلامه كما ترتب عليه الاستفادة بسلاحه ودفع حاجة المسلمين لأدوات القتال.

وفى تقديرى أن الحوار فى الدفاع عن الرسول وإبراز محاسن شريعة النبى ﷺ يجب أن تظهر فيه تلك السلوكيات وتعمم ويتم الإعلان عنها فى المصادر المختلفة حتى يعرف الجميع الدور الإيجابى الذى يرتبط بالرسول وتتحقق معه

الرحمة التى ذكرها الله ﷻ فى نصوصه عن الرسول ﷺ. ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(١٣٤).

فقد اختص الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بهذا الوصف وما ذلك إلا لعموم رسالته ﷺ إلى الناس أجمعين التى يدعوهم فيها إلى الله برفق ولين الجانب.

وتعليقا على هذا الحديث ذكر الحافظ ابن حجر قول ابن بطال: « فيه الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق فيدخل ا لمؤمن والكافر والبهائم، المملوك منها وغير المملوك، ويدخل فى الرحمة التعاهد بالإطعام والسقى والتخفيف فى الحمل وترك التعدى بالضرب»(١٣٥).

❁❁❁❁

(١٣٤) سورة الأنبياء الآية رقم ٧.

(١٣٥) الحافظ ابن حجر العسقلانى – كتا فتح البارى – طبعة القاهرة – المطبعة الكبرى – الأميرية ببولاق ١٣٠٠هـ -١٩٩٢م١/٤٤٠.

المبحث الرابع
الخصال الكريمة التى اختص بها النبي ﷺ

أولاً : الرحمة والمحبة:

الرحمة عبارة عن نزعة تتمكن من قلب العبد فتقوده إلى الخيرات عن عبد الله بن العاص ﷺ أن النبى قال: «الرحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء»(١٣٦)

والمحاور المسلم يستقى رحمته من رحمة ربه الرحمن الرحيم، الذى قال عن نفسه ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾(١٣٧). وقال ﷺ عن رحمة ربه:

«جعل الله الرحمة فى مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، وأنزل فى الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه» (١٣٨).~

وقال سبحانه وتعالى فى تخصيص رحمته للمؤمنين ﴿ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾(١٣٩).

قال الرسول ﷺ « من لا يرحم لا يُرحم»(١٤٠).

وقال الرسول ﷺ [إنما أنا رحمة مهداة(١٤١)] وعند تطبيق هذا المبدأ فى حوارات النبى ﷺ أجد الصورة واضحة تعبر عن إبراز محاسن شريعة الرسول ﷺ،

---

(١٣٦) الإمام أبو داود السنن كتاب الأدب باب فى الرحمة، والإمام الترمذى السنن كتاب البر والصلة باب ما جاء فى رحمة الناس جـ٤ص٣٢٤، حديث ١٩٢٤ وقال حسن صحيح.
(١٣٧) سورة الأعراف الآية رقم ١٥٦.
(١٣٨) أخرجه البخارى كتاب الأدب ٦٠٠٠، مسلم: التوبة (٢١٠٨/٤) رقم ١٧.
(١٣٩) سورة الأحزاب الآية رقم ٤٣.
(١٤٠) أخرجه البخارى: الأدب ٦٠١٣، مسلم الفضائل (١٨٠٩/٤) رقم ٦٥.
(١٤١) حديث صحيح رقم : ٢٣٤٥ صحيح الجامع.

في هذه المسألة عن عمران بن حطين قال: كانت ثقيف حلفاء لبنى عقيل فأسرت ثقيف رجلين من أصحاب الرسول وأسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً من بنى عقيل وأصابوا معه العضباء، فأتى عليه رسول الله ﷺ وهو فى الوثاق، ودار بينهما الحوار التالى:

قال الرجل: يا محمد وكان يناديه بأعلى صوته، فأتاه الرسول ﷺ وقال للرجل: ما شأنك قال الرجل: بما أخذتنى وبم أخذت سابقه الحاج فقال الرسول: إعظاما لذلك أخذتك بجريرة حلفائك ثقيف ثم انصرف عنه(١٤٢).

فناداه الرجل بصوت عال يا محمد يا محمد وكان رسول الله ﷺ رحيما رفيقا فرجع إليه وقال للرجل: ما شأنك كأنه ﷺ يريد أن يقول له لقد ناديت من قبل فأجبتك عن ما فى صدرك فما الجديد، لكن الرجل أراد أن يخدع الرسول ﷺ بإعلانه للإسلام القولى فقال للرسول ﷺ إنى مسلم وقد علم الرسول ﷺ أن هذه صورة من صور الخداع فقال له لو قلتها وأنت تملك أمرك أفلحت كل الفلاح، ثم انصرف لكن الرجل لما لم تسعفه حيلته الخداعية نادى بصوت يا محمد يا محمد(١٤٣)، فأتاه رسول الله ﷺ للمرة الثالثة وقال له ما شأنك فقال الرجل: إنى

---

(١٤٢) كانت غاية الرسول ﷺ أن يجيب الرجل على مسألة لكنه ﷺ لم يمارس عليه نوع من الضغط أين كان، وإنما انصرف بمجرد إعلام الرجل الجريمة التى يعاقب عليها أو حبس بشأنها.

(١٤٣) تكرر النداء من الرجل وتكررت الإجابة من الرسول ﷺ لكن الرجل يحاول أن يستفيد من رحمة الرسول بأى وسيلة كانت وفى تكرار النداء نوع من الإلحاح لكن الرسول ﷺ لم يخدع وإنما أكد لهذا الأسير عن طريق الحوار العملى أن الإسلام يحسن معاملة الجميع حتى وإن كان أسيرا وكان الأسير كافر فربما كان الحوار الهادى والمعاملة الحسنة من عوامل تقبل هذا الرجل أو ذاك الإسلام ويدخل فيه عن قناعة وحب ويتحول به إلى مدافع عنه مقاتل بشأنه.

جائع فأطعمنى وظمآن فاسقنى، قال الرسول: للرجل هذه حاجتك ولباها له ثم وقع فداء الرجل بالرجلين قد أسرتهما ثقيف من أصحاب رسول الله(١٤٤).

ومن المؤكد أن قتل الكافر لم يكن أبداً هدفا من أهداف الإسلام إنما الرحمة به هى التى تؤكد طابع الإسلام الحنيف(١٤٥).

ومن رحمة الرسول بالآخر ما رواه البخارى عن أبى هريرة ﷺ قال بعث النبى محمد خيلا إلى ناحية نجد فجاءت السرية برجل من بنى حنيفة يقال له ثمامة بن آثال سيد أهل اليمامة فربطوه بسارية من سوارى المسجد (١٤٦) فقال : ما عندك يا ثمامة؟ فقال ثمامة يا محمد عندى خير إن تقتل تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه النبى حتى كان الغد، ثم خرج عليه النبى فقال: « ماذا عندك يا ثمامة؟ قال: عندي ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر(١٤٧)، وإن تقتل تقتل ذا دم» وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ماشئت، فتركه رسول الله حتى كان من الغد فقال: «ماذا عندك يا ثمامة فقال: عندى ما قلت لك إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فقال النبى: « أطلقوا ثمامة» فأطلقه أصحاب النبى فانطلق ثمامة إلى نخل قريب من المسجد النبوى، فاغتسل، ثم دخل المسجد، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وقال يا محمد والله

---

(١٤٤) صحيح مسلم كتاب النذور ٣٠٩٩.

(١٤٥) إذا حدث قتل للكافر لأى سبب كالقصاص أو لدور فى المعركة أو غيرهما فإنما هو أمر اضطرارى تفرضه الظروف وتقر به الأعراف وبخاصة إذا ترتب على قتله خير لغيره..

(١٤٦) كان هذا القيد معمول به فى كل دول العالم حيث يبقى الأسير فى مكان حتى يبدى رئيس الدولة رأيه وتحل محلها اليوم أقسام الشرطة أو السجون.

(١٤٧) فى هذه المرة لم يذكر ثمامة العوض المالى وإنما ذكر الإنعام فقط كأنه تأكد أن رحمة الرسول ستباعد بينه وبين القتل على ناحية مؤكدة.

ما كان على الأرض وجه أبغض الىّ من وجهك، فقد أصبح وجهم أحب الوجـوه كلها إلىّ والله ما كان من دين أبغض إلىّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كلـه إلىّ، والله ما كان من بلد أبغض إلىَّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلىّ، وإن خيلك أخذتنى وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره النبى.

رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر فلما قدم مكة قال له قائل صبوت؟ قال: لا، ولكنى أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ. ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطـة أى: "حبة قمح" حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ (١٤٨).

لقد كان الحوار مع ثمامة متعدد الجوانب برزت فيه محاسن الشريعة حيث أتاحت للأسير التعبير عن نفسه وأن يقول كل ما يرضيه قوله من غير إكراه لـه وفى نفس الوقت مكنته من إعلاء قيمة ذاته، ولا يخفى أن هذا الحوار قد أبان عن قيمة الشريعة الإسلامية وأبرز أن من محاسن الشريعة ما يتعلق برعاية الأسـير وقد حققت السبق فى مجال حقوق الإنسان بدليل أنها أتاحت الفرصة لثمامة غيره عرض وجه نظره كما يشاءون وأتاحت لهم الفرص فى اختيار ما يريـدون بـل مكنت لهم من التصرف الذى لا يمنعهم منه مانع أما لماذا فلأنها شريعة إلهية ما جاءت إلا لمصالح العباد كما أنها قررت مبدأ التفاوض لتحقيق الأهداف المتنوعة يبدو ذلك من خيارات عارضها ثمامة إن تقتلنى تقتل ذا دم وإن تريد المال فسـل منه، ولما استبان له أن التفاوض فى كل المراحل والمظاهر التى ذكرها ليس هى المقصودة، أدرك الرجل أن دين الإسلام يتعامل مع الإنسان كإنسان ويحترم ذاتيته دون أن يكون هناك شىء وراء ذلك.

ولعل هذه النماذج كافية فى الدلالة على رحمته ﷺ وبيان أهمية التواضـع والسعة للوصول إلى المطلوب وأن يشعر المحاور بالأمان والمحبة، كما أنه لابـد

---

(١٤٨) البخارى صحيح البخارى – الخصومات رقم ٤٠٢٤.

أن نبين أن الرحمة أدب من الآداب المهمة فى الحوار التى يجب أن يتحلى بها المحاور فى سعيه لتحقيق أهداف الحوار وهداية الآخرين وبيان محاسن شريعة الإسلام وقيمة الرحمة فى ميزان الشرع فالرحمة جسر بين المحاور والطرف الآخر الذى يحاوره ومفتاح لعقله وقلبه.

يقول ﷻ مخاطبا رسوله ﷺ ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ﴾(١٤٩).

ثانياً : إبراز جوانب الحلم:

الحلم ملكة ذاتية ويكفى الحليم فضلاً أن الله ﷻ يحب هذه الصفة ولذلك قال ﷺ: لأشج عبد القيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»(١٥٠).

فالحلم أعلى درجات النفس الإنسانية وخصلة من الخصال التى يجب أن يتحلى بها المحاور فيكون حليما صبوراً عفواً لا يغضب ولا ينفر إذ أن ذلك لا يؤدى إلى الهدف من الحوار وإقناع الخصم ولنا فى رسول الله أسوة حسنة؛ حيث نقلت السنة المطهرة أن الرسول ﷺ ضرب المثل الأعلى فى الحلم والأناة مع غير المسلم فما بالك مع المسلم.

قال رجل للنبى محمد ﷺ: أوصنى، قال: لا تغضب، فرد مراراً، قال: لا تغضب»(١٥١).

قد نقل ابن حجر قولاً لطيفاً لابن التين(١٥٢) قال: «جمع النبى ﷺ فى قوله: «لا تغضب» خير الدنيا والآخرة؛ لأن الغضب يؤول إلى التقاطع ومنع الرفقه وربما إلى أن يؤذى المغضوب عليه فينقص ذلك من الدين(١٥٣).

---

(١٤٩) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

(١٥٠) أخرجه مسلم الإيمان (٤٨/١) رقم ٢٥، الترمذى:البر (٣٣٦/٤)، رقم ٢٠١١.

(١٥١) أخرجه البخارى: الأدب رقم ٦١١٦، الترمذى البر (٣٧١/٤) رقم ٢٠٢٠.

(١٥٢) أبو محمد عبد الواحد بن التين الصفاقسى التونسى.

وقال ﷺ : « ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب»(١٥٤).

ولا يكون ذلك إلا بالتعلم وتعويد النفس عليه « إنما العلم بالتعلم، وإنما الحلم بالتحلم، وإنما الصبر بالتصبر»(١٥٥).

يدل على ذلك ما روى عن قصة الأعرابى الذى جذبه بردائه جذبة شديدة، حتى أثرت حاشية البرد فى صفحة عنقه ﷺ من شدة جذبته، ثم قال: «يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك، ثم أمر له بعطاء»(١٥٦).

أيضاً يدل على حلمه وصبره ﷺ ما رواه البخارى عن جابر ابن عبد الله – رضى الله عنهما – أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه فأدركتهم القائلة فى واد كثير العضاه فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس فى العضاه يستظلون بالشجر ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة، فعلق بها سيفه، قال جابر: فنمنا نومة فإذا رسول الله ﷺ يدعونا فجئناه، فإذا عنده أعرابى جالس، فقال رسول الله ﷺ: إن هذا اخترط سيفى، وأنا نائم، فاستيقظت وهو فى يده صلتا، فقال لى: من يمنعك منى؟ قلت: الله، فها هو ذا جالس ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ»(١٥٧).

من الواضح أن الحوار الذى دار بين الرسول ﷺ وبين الأعرابى من خلاله قدرة الرسول ﷺ على أن يفعل بالرجل كل أنواع العقوبة فلماذا لم يفعل ذلك معه

---

(١٥٣) فتح الباري (١٠/٥٢٠).
(١٥٤) أخرجه البخارى: الأدب رقم ٦١/٤، مسلم البر (٢٠١٤/٤) رقم ١٧.
(١٥٥) أخرجه الخطيب فى تاريخه والطبرانى فى الأوسط وحسنه الألبانى. انظر صحيح الجامع الصغير، رقم ٢٣٢٨، جـ١/٤٦١.
(١٥٦) أخرجه البخارى: اللباس رقم ٥٨٠٩، مسلم الزكاة (٧٣٠/٢)، رقم ١٢٨.
(١٥٧) البخارى – كتاب الجهاد والسير ٢٧٩٤.

مع أن الرجل وأخذ سيفه ورفعه يريد قتله إلا أن الرجل حين قال الرسول ﷺ يمنعك الله، سقط السيف من يده فالتقطه الرسول وقال للرجل: من يمنعك منى الآن؟ فنطق الرجل يا محمد يمنعنى منك حلمك، وفى هذا إعلان صريح بأن من محاسن شريعة الإسلام التجافى عن مواطن الذلل والبعد عن الانتقام مع التحلى بفضيلة الحلم وذلك يشجع الحوار ويمكن القائم به من الوصول إلى الغايات المتنوعة دون أن تكون هناك جوانب سلبية وفى ذلك تحقيق للعدالة الاجتماعية، وتحقيق لمبدأ تكافؤ الفرص ففى هذا العفو والمن دليل على رغبة الرسول ﷺ فى تأليف القلوب والدعوة إلى الإسلام، وإعطاء مثل للأخلاق التى يجب أن يتحلى بها المسلم من الثبات والثقة بالله ﷻ فقوله ﷺ : « قلت: ألله» هذه ثقة تامة بالله ﷻ ثم عفوه ﷺ فلم يعاقبه.

فالشريعة الإسلامية ربانية ولذلك لابد أن نكون ربانيين فلا نحيد عن منهج الله فمصلحة الدعوة فى إتباع منهج الله تعالى الصريح الدقيق الواضح.

ومن مواقفه ﷺ ما ذكر فى كتب السيرة عن هذه القصة الذى دار الحوار فيها بين الرسول ﷺ وبين عتبة قال عتبة بن ربيعة يوماً وهو جالس فى نادى قريش والنبى ﷺ جالس فى المسجد وحده: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه وأعرض عليه أموراً لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء، ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله يزيدون ويكثرون. فقالوا: بلى يا أبا الوليد فقم إليه فكلمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله فقال يا ابن أخى إنك منا حيث قد علمت من الشرف فى العشيرة والمكانة فى النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها، فقال رسول الله: قل يا أبا الوليد قال : يا ابن أخى إن كنت تريد بما جئت به من هذا الأمرمالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن

كنت تريد به شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا وإن كان هذا الذى يأتيك رؤيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا من أموالنا حتى نبرئك منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه. حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله يستمع منه، قال: أقد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: نعم، قال: فاسمع منى، قال:

بسم الله الرحمن الرحيم،﴿حم تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ﴾(١٥٨). ثم مضى رسول الله فيها يقرؤها عليه فلما سمعها عتبة منه أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يستمع منه ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: قد سمعت يا ابا الوليد ما سمعت فأنت وذاك»(١٥٩).

ننظر إلى أخلاقه ﷺ كيف ترك المشرك يتحدث ولا يقاطعه رغم أنه لا يوافقه أبداً فى الرآى وكيف يتناول معه أطراف الحديث برقى فى الخطاب «قل يا أبا الوليد اسمع» أقد فرغت يا أبا الوليد» ثم لما فرع أبو الوليد من سرد اقتراحاته يجيبه النبى ﷺ بالقرآن، ثم انظر كيف الثبات على المبدأ من النبى ﷺ « قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك» ولنا فى هذا الحوار الكثير من أدب وفن الحوار الذى يجب أن يتحلى بها المسلم.

١) أدب الإصغاء إلى المتكلم رغم أنه رجل مشرك محارب لله ولرسوله، ويتكلم بألفاظ شديدة ويساوم النبى ﷺ على دينه والدعوة ويعرض عليه المال والجاه مقابل التنازل عن الدين ومع ذلك يستمع إليه الرسول ﷺ رغم علمه ببطلان قوله وهذا الكلام غير مقبول لا شرعاً ولا عقلاً فيعطيه فرصة الكلام والتعبير

---

(١٥٨) فصلت ١-٤ .

(١٥٩) ابن هشام : السيرة النبوية جـ١ صـ٢٩٣.

وينتظر حتى يكمل الرجل كل ما عنده ثم يسأله بعد ذلك «أوقد فرغت يا أبا الوليد، قال نعم، عندها قال له إذا فاسمع منى».

أدب عظيم وخلق كريم، وكيف خاطبه الرسول ﷺ بالقرآن ليعلم أنه رسول من عند الله وكيف هز القرآن وتلك الآيات قلب هذا الكافر وكيف توصل من خلال هذا الحوار إلى أن من واجبه أن يقدم النصيحة لقومه بالكف عن محمد ﷺ وإفساح المجال له ليدعو من يشاء.

وقد نقل أيضاً البخارى عن ابن عباس موقفا آخر يدل على حلمه ﷺ مع الكافر الكذاب مهما كان مجادلاً؛ قال ابن عباس: «قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول:

إن جعل لى محمد الأمر من بعده اتبعه، فأقبل إليه رسول الله ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفى يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة، فى أصحابه، فقال ﷺ: لو سألتنى: هذه القطعة، ما أعطيتكها!! ولن تعدو أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإنى أراك الذى رأيت فيه ما رأيت.. وهذا ثابت يجيبك عنى ثم انصرف عنه»

يقول ابن عباس: فسألت عن قول رسول الله ﷺ إنك الذى أريت فيه ما رأيت فأخبرنى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: بينما أنا نائم، رأيت فى يدى سوارين من ذهب فأهمنى شأنهما، فأوحى إلى فى المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان بعدى، أحدهما العنس، والآخر مسيلمة(١٦٠).

كان بإمكان الرسول ﷺ حبس مسيلمة ومن معه وبخاصة أن هذا المجئ كان مسيلمة هو الذى قام به لم يدعوه الرسول لكن حلم الحبيب المصطفى ﷺ علمنا كيف يكون الحوار حتى مع الجاهل الكذاب مهما كان متكبراً أو مكابرا ولأن

---

(١٦٠) أخرجه البخارى المغازى، ٤٠٢٥ ومسلم.

رؤيا الأنبياء حق يمكن التعبير عنه فقد تم تأويل السوارين من ذهب بمسيلمة وصديقه العنس.

أضف إلى ما سبق أن هذا الحوار قد أبرز من محاسن الشريعة الإلهية القدرة على احتواء الآخر حتى وإن لم يتم الأمر على الناحية المرادة إذ يكفى أن يتم حقن الدم فماذا يكون الموقف لو أن الرسول ﷺ دعا أصحابه لقتال مسيلمة ومن معه من المؤكد أن مسيلمة ومن معه سوف يموتون وسيقول الناس إن محمداً محاوريه ولكن الله تعالى علمنا في شريعة الإسلام أنها لا تقبل العنف ولا يجرى فيها سوى الحلم، شريعة يسقط من حسابها الانتقام كما يسقط من أبجديتها العنف كيف لا وصاحب تلك الشريعة فى حد ذاته رحمة مهداه بدليل قوله ﷺ « أنما أنا رحمة مهداه»(١٦١).

قوله تعالى: ﴿ {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(١٦٢).

❁❁❁❁

(١٦١) تم تخريجه من قبل.
(١٦٢) سورة الأنبياء الآية رقم ١٠٧.

الخاتمة

التطبيق العملى للشريعة الإسلامية وإبراز محاسنها يتجلى فى أفعاله ﷺ؛ حيث لم تنحصر العلاقات الحسنة فى حياته ﷺ فى مجال الفكر فحسب بل انتقلت إلى الحياة العملية حيث إنه لا يوجد ثمة معوقات تمنع ملاءمة الفكر لطبيعة المجتمعات البشرية وسوف أقدم هذه الجوانب التطبيقية فى حياته ﷺ لتكون بمثابة البيان العملى ومدى تأثر الآخرين به وبيان أن مجرد الأقوال والبراهين قد لا تقنع ولاتؤثر وإن العمل يعلم ما لا يعلمه القول، وهذا برهان على محاسن شريعته ﷺ ودليله وحقيقته واقع يرشدنا فى سلوكنا فإن الأمور التى نحتاج إليها فى حياته ﷺ.

فقد جاءت الحديبية لتكون بمثابة تأكيد على أن الحوار فى الإسلام يمكنه أن يقرر مبادئ السلم والسلام ويحقق التفاوض فبعد سنوات ست من الهجرة وكان المسلمون يتوقون شوقا ويتحركون لزيارة الكعبة ويتمنون الحج والعمرة وبينما هم مجتمعون فى المسجد النبوى ذات صباح إذ أخبرهم الرسول بأنهم يدخلون المسجد الحرام وقد جاء ذلك فى قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾(١٦٣).

لقد فرح المسلمون بما أخبرهم به رسول الله وانتقلت أنباء تلك الرؤيا كالبرق الخاطف بين المسلمين جميعا، ولكن كيف يدخلون المسجد الحرام تلك هى المسألة هل سيحاربون قريشاً عنوة أم أن قريشاً سوف تفتح الطريق مستسلمة لكن الرسول ﷺ أذن فى الناس بالحج فى شهر ذى القعدة وهو من الأشهر الحرام، حتى لا تفكر قريش بصدهم عن مكة ولا يظن غير المسلمين بأن هناك هدف غير الحج وقد سعى الرسول ﷺ لإبلاغ القبائل المخالفة له من غير

---

(١٦٣) الفتح الآية ٢٧.

المسلمين بهذا الذى انتواه بحيث يدرك الجميع أن الرسول ﷺ لم يخرج مقاتل أو غازى ولكنه حاج، لأداء فريضة الحج الذى فرضها الإسلام(١٦٤).

لقد أراد الرسول ﷺ أن يقوم بالرؤيا التى رآها فركب ناقته وأصحابه محرمين بالعمرة وساقوا هديهم معهم، حتى يعلم الناس أنه لا يريد قتال، ولا يريد غزو وإنما يريد فقط أن يبلغ الناس شرع الله جل وعلا (١٦٥).

فلما بلغ الرسول ومن معه ذى الحليفة وقلد الرسول ﷺ الهدى وأشعره ودوى صوت الجميع بالتلبية إعلان عن عمرتهم غير أن قريش لم يرضيهم الأمر فأخذوا في الاستعداد للحرب وعقدوا النية للقتال وعندما وصل الرسول إلى منطقة عسفان جاء من يخبره أن قريش جهزت للحرب ويمنعهم من دخول مكة إلا بالقتال غير أن الرسول صار بالمسلمين فى طريق غير معهود حتى وصل إلى الحديبية الواقعة على حدود مكة ونزل عن ناقته ونزل المسلمين عن رواحلهم، وعلمت قريش بنزول الرسول ﷺ فعملوا على حمايتها من جميع حدودها وبات أمر الفريقين على غير هدف واحد (١٦٦).

ثم حدث تبادل للسفراء بين الطرفين وهو ما يعرف باسم الحوار المباشر عن طريق ممثلين للفريقين امتدت المحادثات وتنوعت الحوارات وبعث الرسول ﷺ من ينقل وجه نظره إلى القريشيين وكان عثمان بن عفان ﷺ هو الذى قام بدور

---

(١٦٤) كان الحج عبادة قديمة فرضتها أديان العرب قبل الإسلام ولكن وقع فيها تجاوز ولكن لما جاء الإسلام ألغى كل أنواع التجاوز.

(١٦٥) العلامة بن الأثير الكامل ط، ص١٢٣، ١٢٤، دار الكتب العلمية ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(١٦٦) الرسول ﷺ لم يرد قتالاً، وإنما يريد أداء ما أمره الله عليه ، بينما القريشيون يعتبرون أنفسهم مستضعفين ولابد من القتال إذ كيف يطردون محمد ويرد عليهم غازى.

السفارة وقد انتهى الأمر بجملة من الشروط المجحفة تقوم على أن يتم تأجيل العمرة إلى العام القادم بحيث يقوم الرسول ومن معه بالعمرة والحج معاً[١٦٧].

فقد أراد القوم الصلح حيث بعثوا بسهيل بن عمرو لعقد الصلح ولما رآه النبى ﷺ قال سهل لكم أمركم، فتلكم سهيل ثم اتفقا على قواعد الصلح وهى:

١- رجوع الرسول وأصحابه من عامه وعدم دخول مكة وإذا كان العام القادم دخلها المسلمون بسلاح الراكب فأقاموا بها ثلاثاً.

٢- وضع الحرب بين الطرفين عشر سنين يأمن فيها الناس[١٦٨].

٣- من أحب أن يدخل فى عقد مع محمد وعهده دخل فيه ومن أحب أن يدخل فى عقد مع قريش وعهدهم دخل فيه.

٤- من أتى محمداً من قريش من غير إذن رده إليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يرد إليه.. . .الخ [١٦٩].

غير أن الرسول ﷺ أراد أن يطبق الحوار على ناحية عملية وانتهى إلى تطبيق نصوص المعاهدة على أرض الواقع فأمر الرسول أصحابه أن يحلقوا رؤوسهم حيث هم دون أن يدخلوا مكة وينحروا الهدى حتى يتحللوا من عمرتهم كأنهم أنهوها، صحيح أن بعضهم حمل هم عظيم من ذلك وتباطأ غيرهم إذ كانوا يريدون أن يدخلوا مكة ولمّا تقدم الرسول إلى هديه ورأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق لبعض ثم رجعوا إلى المدينة دون أن يقوموا.

---

(١٦٧) راجع د/ محمد حسين هيكل، حياة محمد ص٢٦٦، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٢م، وراجع الشيخ الحفيد ابن مرزوق كتاب نور اليقين، تحقيق مصطفى السقا، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبى ١٣٧٥هـ -١٩٥٥م.

(١٦٨) الهدنة هى قيام حالة السلم وترك القتال سواء كانت بين الأطراف حرب ناشئة أم لم تكن وقد نشأ هذا التصور من تصور دور المسلمين فى هذه الحياة وطبيعة الدعوة الإسلامية.

(١٦٩) ابن هشام السيرة النبوية، دار ابن كثير - بيروت جـ٢ ص٣١٦.

وعند عودتهم إلى المدينة أنزل الله سورة الفتح ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾(١٧٠).

وبالتالى يمكن القول بأن الصلح نقطة حوارية لأنه يثمل نقطة تحول فى حياة المسلمين كما اعتبر مبدأ عام لعهد جديد بين النبى والقريشيين أن اعتراف القريشيين بهذا الصلح أدى إلى التأكيد على أن هذا الدين مقرر داخل القبائل العربية مما سمح للكثير للانضمام إلى المسلمين وقد كان البعض منهم يتأنى فى الانضمام للفيلق الإسلامى(١٧١).

أضف إلى ما سبق أن هذا التحاور جعل الفريقين يعتمدان مبدأ يمكن أن يطلق عليه التفاوض المثلى بدليل أنه بعد هذا الصلح حدثت هدنة فأتاح ذلك الفرص للفريقين حتى يُعدل من سير الأحداث وكانت الفائدة للمسلمين أكبر بدليل انتشار الإسلام ودخول الناس فيه أفواجاً.

استطاع الرسول بعد هذا الصلح مخاطبة الملوك والتفرغ لها بجانب توسيع دائرة الدعوة بدليل أنه ارسل إلى قيصر الروم وكسرى فارس، والمقوقس عظيم مصر، والنجاشى ملك الحبشة، والمنذر الغسانى فى الشام، والمنذر بن مهادى فى البحرين، وغيرهم من ملوك اليمن وعُمان يدعوهم إلى الإسلام.

أرسى هذا الموقف كل ما يمكن قوله وهو أن المكاسب التى تحققت داخل صلح الحديبية جاءت سورة الفتح لتقرر أن جميع ما حدث كان فتحاً مبيناً.

---

(١٧٠) الفتح الآية ١، ٢، محمد الخضيرى، نور اليقين ص١٩١، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م، د/ محمد زيادة. العرب وظهور الإسلام ص١٩٢، ط المحمدية القاهرة ١٣٩١هـ -١٩٧١م.

(١٧١) راجع حسن محمود صبرى «السيرة النبوية جـ١ ص٣١٥، ٣١٦ ط دار المراد ١٩٦٧م، القاهرة.

صحيح أن صلح الحديبية يمكن اعتباره مظهراً من مظاهر السياسة المتقدمة نظراً لما ارتبط به لكنه فى الأصل قام على التفاوض والتحاور وانتهى إلى تقرير جملة من المبادئ تدور فى حرية العقيدة والعبادة والتفكير بل شمل كافة الحريات الأساسية وتحقق بعده فتح مكة فكان صلح الحديبية بمثابة الإرهاص الذى أعقبه فتح مكة وما تلاها من أحداث جسام.

ومن المؤكد القول بأن جميع ما جرى فى الحديبية من أحداث فيه الأهداف التى يسعى إليها كل من الطرفين وفى النهاية تقررت القاعدة الأساسية إن الدين لله والوطن لمن يعيش فيه ويحافظ عليه ويحميه.

فقد صالح الرسول ﷺ قريشا وكان صلحا مجحفا فى ظاهره بحقوق المسلمين ناهيك عن الشرط الذى يلزم المسلمين بتقرير حق البقاء لمن هاجر منهم فى حوزة معسكر قريش دون رد، فى الوقت الذى اشترطت قريش رد من جاء منهم إلى المسلمين أو وقع فى أيديهم، وقد قبل النبى الصلح على ذلك لا عن ضعف وإنما لمنع إراقة الدماء وتحقيق السلام بين الناس لذلك قال النبى ﷺ « والله لا تدعونى قريش إلى خطة يسألوننى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها»(١٧٢).

وبذلك يثبت أن السلام ونظام الأمان هو الأصل فى شريعة الإسلام وهو الأصل والعزيمة فى علاقات الناس بعضهم وبعض لأن السلام اسم من أسماء الله الحسنى ومن ذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١٧٣).

وقوله ﷺ: « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

---

(١٧٢) البخارى بشرح العينى ١٣-١٤.
(١٧٣) سورة الحشر الآية رقم ٢٣.

فمن محاسن الشريعة فى الحوار بيان أن دعوة محمد ﷺ كانت ولا زالت هى الدعوة السلمية للناس جميعاً فى كل زمان وفى كل مكان حتى مع الاعداء وصدق الله حيث يقول فى رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(١٧٤).

أهم النتائج:

١- أن الحوار حركة تدور داخل العقل الواعى تريد أن تعبر عن نفسها ولابد أن يكون هذا التعبير مقبولاً بحيث يحقق النتائج المترتبة عليه بغض النظر عن الأسباب الموصلة إليه. على أساس أن الحوار المطروح لابد فيه من لغة معبرة وأفكار متداولة وإيجابيات يتم التعامل بها والشريعة الإسلامية قد امتازت بهذا كله بل إن نصوصها حملت المادة الأساسية للحوار كما أبانت عن الطريق التى يمكن أن يتم بها.

٢- أنه من خلال الحوار يتم التعبير عما هو مكنون فى النفس وأيضا التنفيس عما فى الوجدان وإجراء الحوار بطريقة سليمة وقد جاء ذلك فى الشريعة المحمدية على أوضح صورة وأتم بيان ويكفى أن كافة الأحكام الشرعية جاءت أغلبها فى صورة حوار، وكثيراً ما أتت آيات القرآن بقوله تعالى: «يسألونك» بحيث يكون الحوار سمة أساسية من سمات الشريعة الإسلامية.

٣- إن تحديد المصطلح العلمى أمر تفرضه الشريعة الإلهية أما لماذا فلأنه أمكن تحديد المصطلح استطاع الفرد الواعى النظر إليه بعقل يحدد الفوائد المترتبة بدليل أن المحاورات التى دارت فى أصول الشريعة قالت ما الإيمان ما الإسلام ما الإحسان لم تقل ما هو الإسلام، والإيمان أو ما هو الإحسان؛ لهذا المبدأ المصطلحى يكون من محاسن الشريعة تحديد الألفاظ والمعانى المرادة على نواحى متميزة ومن المؤكد أنه متى تم إبراز شريعة الإسلام من خلال

---

(١٧٤) سورة الأنبياء الآية رقم ١٠٧.

تحديد المصطلح أمكن للعقل الواعى القيام بدور تثبيت العقيدة من الناحية العقلية والاستفادة من أحكام الشريعة من الناحية الفعلية وتحديد الأخلاق القويمة من الناحية السلوكية.

٤- إن محاسن الشريعة ترتبط بالمسلم ارتباط إلزام؛ لأنه ما دام قد آمن بالله ورسوله ولزمه التسليم بكل ما جاءت به أحكام تعبدية أو تعليلية أماّ مع غير المسلم فهى إقناعية تدور معه دوران العلة مع المعلول حتى يرسخ فى عقله الواعى العديد من المعالم الأساسية ومن ثم كان من محاسن الشريعة مع المسلم ما يمكن تطبيقه مع الآخر.

٥- كشف الحوار عن أن من محاسن الشريعة البر مع غير المسلم بنفس المستوى الذى يكون مع المسلمين أنفسهم نظراً لاشتراك الجميع فى مفهوم الإنسانية الذى لا يميز بين الإنسان ذكر كان أو أنثى ومسلم كان أو غير مسلم.

« كلكم لآدم وآدم من تراب».

والبر ما كان فى شىء على وجه العموم إلا زانه وبناء عليه فإن دور الحوار وإبراز جانب البر واستعمال الفوائد المترتبة عليه من الجهتين.

٦- التأكيد على أن المعاهدات التى تتم بين المسلمين وغيرهم تقوم أساساً على الحوار إذ لا يعقل أن تتم معاهدة من غير حوار على أى نحو كان مكتوباً أو مقروءاً أمكن التعبير عنه بلغة منطوقة ذات عبارة أو ما يقوم مقامها من الإيماء الإشارة وفى ذلك تأكيد على حقوق الإنسان واستمرار الحوار حريته الأساسية ودعم مواقفه الإنسانية ومن ثم كان الحوار فطرة إنسانية وسنة إلهية وذلك مما عنت به الشريعة الإلهية، وقد أكدت الدراسة على أن من محاسن شريعة الإسلام احترام الخصوصيات فالإنسان له ظاهر وباطن ولا يعرف سره سوى من خلقه وبناء عليه: فإن الحوار من الشريعة الإسلامية

كشف عن محاسن جامعة تتعقل باحترام الخصوصيات حتى بات من المؤكد القول صدور الأحرار قبول الأسرار وقد أبرزت الشريعة الإسلامية ضرورة احترام تلك الخصوصيات حتى إنها لا تسمح لأحد الزوجين أن يفضى لغير الآخر ما يدور بينهما باعتبار أن هذا ليس ملك لأحد الطرفين حتى يتصرف فيه بل إنه ملك لهما معاً ويجب أن يتمسك به ويحافظ عليه كلا منهما، مسلم كان أو غير مسلم المهم أن نحترم الخصوصيات ويتم التركيز على القواعد الأساسية مهما تباينت حولها الحوارات.

٧- أكدت الدراسة أن الرحمة نعمة إلهية، وأنها مغروسة فى صدر التقى ولا يستفيد منها الشقى وكل ما جاء من حوارات تتعلق بمحاسن الشريعة أعلنت جانب الترغيب وحفزت التقى على الرحمة وبذل المزيد بينما نظرت للآخر نظرة استغراب، والرحمة لا تكون إلا فى قلب تقى «الراحمون يرحمهم الرحمان»[١٧٥]. وهل هناك رحمة أدل من إبراز دور الشريعة فى رحمة الحيوان حتى فى ذبحه جاءت التعليمات الإلهية : «وليرح ذبيحته»، كما أن الرسول رحمة الله للعالمين والآخر مهما كان مخالفاً فى الدين إلا أنه داخل فى جملة منطق قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[١٧٦]. من باب أولى طالما أن اللفظ يشمل مجموع الإنسان والحيوان وغيرهما.

٨- إن التطبيقات العملية أشادت بقيمة الحوار ودوره فى إبراز الشريعة الإسلامية ومحاسنها النوعية والكلية التعبدية والتعليلية لأنها تغرى العقل الواعى وتربح القلب النورانى وتحقق الأمن للجميع، وهل هناك أجمل من أن يشعر المرء بسعادة فى دنياه ونعيم ينتظره فى آخرته وقد وفرت ذلك الشريعة الإلهية لأنها جميعا جاءت من عند الله.

---

(١٧٥) سبق تخريجه فى صـ٦٧.
(١٧٦) سورة الأنبياء الآية رقم ١٠٧.

٩- يعيش العالم اليوم أزمة أخلاقية متمثلة فى ضعف القيم فأصبحت الفضيلة رذيلة والرذيلة فضيلة والحق باطل والباطل حق ويرجع ذلك إلى وجود فجوة بين العقل البشرى والفعل الأخلاقى والتراث الدينى المتمثل فى النص المنزل من عند الله ولكى نخرج من ذلك نعيد للقيم الإنسانية مكانتها لا يتأتى ذلك إلا من خلال الحوار الهادف ، وأستعير هنا ما ذكره د/ محمد عبد دراز: «فليس على وجه الأرض قوة تكافئ قوة تأثير الدين على فكر الإنسان وإرادته»(١٧٧).

١٠- العودة إلى الماضى القويم لنستلهم منه الدروس والعبر فى هذا الحاضر حتى نتجاوز هذه الأزمة التى ألمت بأمة الإسلام حيث إن الله قد كتب لهذه الأمة العزة والقوة متى ما صدقت وأخلصت لأنها دولة الإسلام فى عهده ﷺ تقف فى وجه الكفر بقواه المادية فتهزمه ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (١٧٨).

❁❁❁❁

(١٧٧) كتاب الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان الطبعة الثانية – طبعة وزارة الأوقاف.

(١٧٨) الحج ٤٠.

فهرس

الموضـــــــــــــــــــوع	الصفحة
المقدمة	٥١٤٦
الفصل الأول التعريف بشريعة النبى محمد ﷺ	٥١٤٩
المبحث الأول الشريعة الإسلامية تراعى النفس الإنسانية	٥١٥٣
المبحث الثاني التكامل بين العقل والإيمان	٥١٥٦
المبحث الثالث التعريف بالمصطلحات	٥١٦١
الفصل الثاني إبراز محاسن الشريعة مع الآخر من خلال الحوار	٥١٧٠
المبحث الأول فن التعامل النبوى مع غير المسلمين	٥١٧٤
المبحث الثاني محاسن الشريعة فى إقرار المعاهدات	٥١٧٦
المبحث الثالث احترام الخصوصيات	٥١٨٤
المبحث الرابع الخصال الكريمة التى اختص بها النبي ﷺ	٥١٩١
الخاتمة	٥٢٠١
أهم النتائج	٥٢٠٦